

فناہیم  
یجب ان تصلاح

تالیف

محمد علوی الممالکی الہدیٰ الحسنی  
خادم العام بالمسجد الشریفین

دار الشریعہ

للطباعة والنشر  
لاہور پاکستان



## الطبعة الأولى

جمادى الآخرة ————— ١٤٠٦ هـ

الموافق فبراير ————— ١٩٨٦ م

## د. الشَّامِلِي

للطباعة والنشر

لاهور ————— باكستان

## تقریظ

علامة المغرب المحدث المحقق الأستاذ السيد عبد الله كنون الحسني  
رئيس رابطة علماء المغرب وعضو رابطة العالم الاسلامي  
بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه ومن  
والاه .

وبعد : فقد أطلعني الأخ في الله العلامة الحليل السيد محمد علوي المالكي  
على هذا الكتاب الذي سماه ( مفاهيم يجب أن تصحح ) وجعله ثلاثة أبواب :

الباب الأول في العقيدة .

والباب الثاني في السيرة .

والباب الثالث في الزيارة .

ولا يعني بهذه المطالب أصولها وحقائقها المبسطة في مظانها ولكنه يريد  
ما يتعلق بها من مباحث اختلفت الأقوال فيها بين العلماء من السلف والخلف كما  
اختلفوا في المسائل الفقهية الفرعية والتي لم يرد فيها نص صريح فذهب اجتهاد كل  
منهم إلى ما اطمأنت إليه نفسه ولكن أحدا منهم لم يعب على غيره ولا أنكر ما أداه  
إليه اجتهاده وكان الاجتهاد ولا يزال يؤدي إلى نفس النتائج ولن يؤدي حتما إلى  
نتيجة واحدة ولذا كان المجتهدون كلهم مأجورين والأجر إنما يكون على عمل  
صالح لا على عمل مذموم .

وكما نقول إن الخلاف في مثل هذه المطالب قد انتهى كما انتهى الخلاف في  
الفروع الفقهية بصلاة المسلمين في المؤتمر الإسلامي المعقد بالقدس سنة ١٩٣١ م  
خلف الإمام الطباطبائي الشيعي على اختلاف مذاهبهم وبعدهما أغلقت المحاريب  
المتعددة التي كانت في المسجد الأموي والأزهر وغيرهما وصار المسلمون يصلون

وراء إمام المسجد الواحد في المحراب الواحد ولا يسألون عن مذهبه ولا عن عقيدته كما كان الصحابة يصلون خلف الحجاج ابن يوسف في البصرة وغيره في غيرها ولكن أئى الشيطان إلا أن يعثها جذعة بين المسلمين في الوقت الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى الوفاق ونبذ الخلاف والتصدي لعدو دينهم كما أمرهم الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ فعادت فتنة الأشعرية والسلفية في العقيدة وفرقت المسلمين وجعلت بعضهم يدع بعضاً أو يكفره .

والأشعرية إنما قامت لما طغى التجسيم على الناس أعنى العامة وصاروا لا يحققون مفهوم التنزيه فجنحوا إلى التأويل إنقاذاً للعقيدة .

والتأويل منحى شرعي لا جدال فيه بنص القرآن ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ .

وقد كان الأشعرية من اسمين في العلم وكذا أبو المعالي الجويني إمام الحرمين وأبو حامد الغزالي حجة الاسلام وغيرهم من أعلام الأشاعرة - وهي ثلاثة أقوال في المتشابهة :

ما يعزى إلى السلف وهو اعتقاد مدلول اللفظ مع التنزيه ونفى التشبيه .

والتأويل بما تحمله اللغة وطرق المحاز وهو مذهب الخلف ومذهب الأشعري الذي صار إليه بعد التأويل وهو أن هذه المتشابهات صفات لله عز وجل لا تعرف دهرها ولكنها تؤمن بها كما جاءت ، على أن المؤولين كما قلنا إنما أرادوا بذلك إنقاذ العامة من شبه المتشابهات ولذلك قل منهم من لم يكن يرجع إلى الصواب حتى أن بعضهم كان يقول اللهم إيماناً كما إيمان العجائز . .

والمهم أنهم كلهم أهل سنة وجماعة مؤمنون بما جاء به عن الله ورسوله الكريم كما أمر - كيف يصح أن يكفر أو يدع هذا ذلك ؟

ما هو إلا التعصب وضيق العطن إن لم يكن للسياسة في ذلك مدخل وقد وقع فعلا في المغرب أن المهدي بن تومرت بعد أن رجع من رحلته لطلب العلم في المشرق ولقى أقطاب المذهب الأشعري مثل الكيا الهراسي وتلك الطبقة قام بنشر هذا المذهب في المغرب ولما ادعى المهديونية وأسس دولة الموحدين ألزم الناس به وحارب مذهب السلف ونبذ المرابطين أصحاب الدولة قبله بالمجسمين وكانوا على مذهب السلف في العقيدة ، وسمى أصحابه بالموحدين كما حارب المذهب المالكي ورجاله من فقهاء المغرب والأندلس وهكذا نشأت العداوة بين الطرفين وكان السبب سياسيا قبل كل شيء .

وما قيل في هذه المسألة مما اشتمل عليه الباب الأول من الكتاب يقال في مسألة المولد البوي من مسائل الباب الثاني ومسألة الريارة من مسائل الباب الثالث .

فلاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم إن لم يفعله من سبق فكثير مما لم يفعله لم يفعله وهي حجة لم يقبلها الفاروق من الصديق لما طلب جمع المصحف فكان أن رجع إلى كلامه وجمعه .

ونظيرها أمر عمر بن عبد العزيز علماء الأنصار بكتابة الحديث وكان من قبلهم يتخرجون من ذلك فوافقوه جميعهم ولم يقولوا له أتفعل ما لم يفعله الأولون — وكذا يقال في نقط المصحف وشكله وإحداث المحاريب في المساجد وبناء المآذن حيث صار الأمر إلى الأبيسي مسجد بدون محراب ولا مأذنة ولم يكن ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام .

والقائمة طويلة والمقصود أن من غلبت عليه محبة المصطفى نبي الرحمة وتضع الأمة صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ونجد وعظم فاحتفل بمولده فهو أحرى أن نقول له حسا لا أن نذكر عليه ونقيم الدنيا ونقعدها لأمر أقل ما يحكم به عليه أنه جائز .

والعجب العجيب أن يعترض مؤمن على زيارة قبر النبي وقد أمرنا بزيارة القبور مطلق القبور لتعظ بها ونعتبر ، وزيارة قبور آبائنا وأمهاتنا وقرابتنا صلة للرحم وتعهد لهم بالدعاء الصالح وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في زيارة قبر أمه

فأذن له فكيف لا نزور قبر أشرف المرسلين الذي هدانا الله به إلى الصراط المستقيم وهو أمنُّ الناس علينا وأحبهم إلينا بل وأحب إلينا من أبائنا وأبنائنا ومن أنفسنا التي هي بين جنبينا؟ لا جرم أن ذلك أى ترك زيارة قبره وخصوصاً لمن حج وأصبح من المدينة على غلوة أو غلوتين لمن أعظم الجفاء ولو لم يصح حديث من حج ولم يررنى فقد جفانى فتركوا الناس وإيمانهم أيها المنكرون وإذا لم تتحرك مشاعركم لهذه المشاهد فعليكم وأنفسكم ولا تحرموا عباد الله من التعرض لنفحاته التي يمن بها على من يشاء فالأمر كما قال الصادق المصدوق « إنما أنا قاسم والله المعطي » وشكراً للسيد السيد محمد علوي لتحريره هذه المباحث وتحقيقه لمفاهيمها وأعتقد أنه قد بلغ بها المنتهى فلا يشغل نفسه بعد بالجدال فيها والمرء عليها ففي الحديث « من ترك المرء وهو محق بنى الله له قصراً في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى الله له قصراً في ربض الجنة » .

ذلك لأن مهمة العلماء في عصرنا هذا هي إيقاظ الشعور والغيرة في نفوس المسلمين وحمل رؤسائهم وقادتهم على الوقوف في وجه أعداء الإسلام المسيئين للمستضعفين من المؤمنين في فلسطين وأرتيريا وأفغانستان والفليين ومن يشغل نفسه بهذه المسائل ويفرق بها صفوف المسلمين إنما يغطي على تقصيره وانحرافه عما هو واجب عليه مما لا يعذر فيه ولا يجزيه من الله شيء — فالإسلام لا أرضى له اليوم والمسلمون يسامون الهوان في كل مكان ولن تقوم قائمة ولن ترفع عنهم عصا الدل حتى يجندوا أنفسهم للدفاع عن كيان الإسلام وحماية بيضته مع من بيده الحل والعقد من أولى الأمر ﷺ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﷻ .

كتبه بفاس في ٢ شعبان ١٤٠٥ هـ

عبد الله كنون الحسنى

الأمين العام لرابطة العلماء بالمغرب

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة

وعضو الجامع العربية

وعضو أكاديمية المملكة المغربية

وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي

وعضو مجلس الوصاية على العرش بالمغرب

## تقريظ

العلامة المؤرخ الفقيه الشيخ محمد الخزرجي  
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي المحامد والألاء المنعم على عباده بما شاء وأصلى وأسلم غلى  
أفضل الأنبياء وعلى آله وصحبه النجباء .

أما بعد : فقد تصفحت الكتاب الذي جمعه وألفه العالم الجليل المحقق السبيل  
السيد محمد بن علوي المالكي الحسني فرع الشجرة النبوية وسليل العترة الهاشمية  
المسمى ( مفاهيم يجب أن تصحح ) .

ففي كتابه هذا وضع الأمور في مجاريها وحاد عن الشطط في مراميها وجنبها  
الافراط والتفريط وصحح الأوهام والتخليط وبذل النصيحة لإخوانه المسلمين  
بالأدلة القاطنة والبراهين ليسلكوا مسالك السلف ويقلدوا أهل الفضل من  
اخلف

والكتاب يتعلق بأمر ثلاثة : مباحث في العقيدة ، مباحث نبوية ، مباحث  
مختلفة تتعلق بالحياة البرزخية ومشروعية الزيارة والمناسبات الدينية .

ومعشر المسلمين اليوم أحوج ما يحون إلى علم هذه الحقائق المشتملة عليها  
هذه المباحث وقد احتلط عليهم الحابل بالنابل وتصدر للفتوى كل جاهل ممن  
ينقص إدراكه عن فهم كتاب الله عز وجل ومقاصد السنة النبوية .

فجاء بالإيضاح والتدقيق ليعتدوا عن مواقع الضلال ويكونوا خير مثال  
موفقين في الأفعال والأقوال .

والله أسأل النفع أن يمن على مؤلفه بلطفه وعنايته ويشمله بحفظه ورعايته .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم على المرسلين  
والحمد لله رب العالمين .

حرره محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن حررجي

قاضي إمارة أبو ظبي سابقا

ورئيس لجنة التراث والتاريخ

في دولة الامارات العربية المتحدة

ووزير الشؤون الاسلامية والأوقاف

## تقرير

العلامة المحدث المحقق الفقيه الشيخ محمد الشاذلي النيفر  
عميد كلية الشريعة بتونس وعضو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يختار العالم الاسلامي في عصرنا الحاضر أزمة الحملات العديدة التي يقوم بها المناوئون للاسلام وأشدّها ما يحوكه الصهاينة من وسائل تنخر في جسم المسلمين كما ينخر السوس الحشيب فهي غير ظاهرة للعيان مثله علاوة على نكائهم في فلسطين تلك النكاية التي تحز إلى العظم .

وفي جانب آخر الصليبية وحملاتها القاسية في محاربة الاسلام في بقاع الأرض عاملة ليلا ونهارا لحسر الاسلام في أضيق مكان أو القضاء عليه ويعاون كلا من الصهاينة والصليبيين حركات أخرى فالحملات العديدة عنيفة يقاسى منها المسلمون ما يقاسون حتى أنها لبست على البعض أفكارهم فجاروهم في أفكارهم كمن يتناول السم ويظنه الدواء الشافي فهؤلاء الذين يتفقون باسم الاصلاح والتقدمية لم يكفهم أنهم مسمومون حتى أرغموا المسلمين على تلك السموم إذ ساعدتهم الظروف المعوجة على الحكم ورفعوا عقيرتهم بالدعوة لما يسمونه بالاصلاح والتقدمية كي يغرروا العالم الاسلامي ، إنها حرب شعواء تقض المضاحم وتدر المدامع ونحن في أكثرتنا ساهون مشتغلون ببعضنا بعضا كما هو الواقع في الحروب الساخنة بين المسلمين أو الحروب الباردة العامة المنتشرة بين الدول والناعبة من بعض المعرورين المسمومين من تلك الحملات يدعوننا الواقع المؤلم أن نلتفت إلى مقاومة تلك الحملات الشعواء حتى ندرأ عن أنفسنا خطرنا المحدث عوض أن نحارب أنفسنا بأنفسنا مثل هذه الحملة على الأشعرية التي لا مبرر لها لأننا إذا نظرنا إلى الأشاعرة صح عندنا أنهم على السنة التي تركنا عليها النبي ﷺ والتي ليلها كنهارها ورحم الله تعالى الإمام ابن عساكر ( ٥٧١ ) حين تصدى لإيضاح الأشعرية في وجهها الحقيقي في كتابه الشهير « تبين كذب المفترى فيما

نسب للإمام أبي الحسن الأشعري « فإنه وضع أنها الوسط وخير الأمور الوسط بين التعطيل والتشبيه وقد ألهم الله الأشعري إلى نصره السنة بحجج العقول فانتظم شمل أهلها فأثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات ونفى عنه ما لا يليق بجلاله فالأشعرية كما قيل :

الأشعرية قوم قد وفقوا للصواب  
لم يخرجوا في اعتقاد عن سنة وكتاب

ويكفي مذهبه صحة أن البيهقي من العلماء يكادون كلهم أن يكونوا أشعرية حتى قبل ظهوره لأنهم على طريقة السنة ثم بعد ظهوره تقلدوا مذهبه وإن لم يكونوا كلهم فأكثرتهم .

وهذا ما أبداه ابن عساكر في ( تبين كذب المفتري ) في ( باب ذكر جماعة من أعيان مشاهير أصحابه ) إذ كان فضل المقتدي يدل على فضل المقتدي به ويكفيه أن من مقلديه القاضي أبابكر بن الطيب بن النافق البصري صاحب التصانيف المشتهرة في الرد على المخالفين حتى أن أبا الحسن التميمي الخليلي كان يقول لأصحابه تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه عيب أبداً .

وكذلك من رجاله الفحول الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک على الصحيحين وابن فورك وأبو اسحاق الاسفراييني والحافظ الأصفهاني وأبو محمد القاضي عبد الوهاب البغدادي ٤٢٢ الفقيه المالكي وكنية أشهر من نار على علم وقد اعتنى بأحدها الإمام المازري وهو كتاب التلقين . والمحدث الشهر الحافظ أبو ذر الهروي المالكي والحافظ أبوبكر البيهقي والحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي والإمام أبو المعالي الحويني وأبو الحسن الطبري والكنة الهراسي والإمام الشهر حجة الاسلام أبو حامد الغزالي .

ومنهم من أهل المغرب الإمامان الشهيران أبو الحسن القاسمي والإمام المازري

وتتبع هؤلاء إنما هو استيعاب علماء المسلمين فإذا كان هؤلاء على ضلال فقد اجتمعت الأمة على ضلال ، وفي ذلك تكذيب لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال :

إن أمتي لن تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم  
رواه ابن ماجه أحد أصحاب الكتب الستة .

ومثله الحملة على المولد النبوي الشريف مع أننا إذا حققنا النظر نراه ليس  
من البدع بل هو أمر مقصود منه تعظيم يوم مولد النبي ﷺ اقتداءً به في تعظيم  
حجاة موسى عليه السلام في يوم عاشوراء .

ولتحاشي زيادة عدد في أعياد المسلمين لم يسم المسلمون ميلاده ﷺ بعيد  
الميلاد بل سموه يوم المولد. والله درهم في ذلك .

وقد أزال الشبهة الإمام الحليل السوطي في كتابه ( حسن المقصد في عمل  
المولد ) .

فهذه مفاهيم يجب تصحيحها وكذلك غيرها وهو ما اعتنى به فضيلة  
العلامة الدكتور محمد علوي المالكي في كتابه الخافل ( مفاهيم يجب أن  
تصحح ) .

وقد حقق الكثير من هذه المفاهيم التي أثبتت حولها حملات وأبان فيها  
الوجه الصحيح فهو حري أن تتوفر عنده الأنظار لتحرير المواقف كالتقضييتين  
المشار إليهما .

ونأمل أن هذه الحملات تنهي بعد التصاح ما يجب أن يصحح وأن تتجه  
الأقلام لتطعنات الموجهة إلى الإسلام حتى نقتد الكثير من الذين أضلهم تلك  
الأقوال المرحرفة وبذلك نكون من الذين دافعوا بأقلامهم وأفكارهم عن حورة  
الدين .

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون  
أحسنه .

محمد الشاذلي النيفر  
عميد كلية الشريعة بتونس  
وعضو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

## تقریظ

العلامة الفقيه الشيخ محمد فال البناني  
الأمين العام للرابطة الاسلامية الموريتانية  
وعضو رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

والقائل : ﴿ ولا يعتب بعضكم بعضا أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا

فكرهتموه ﴾ .

والقائل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين قائد الغر المحجلين من روى عنه :

« المؤمن بأخيه كثير » .

« المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه لمن يظلمه » .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

« المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

لا تحاسدوا ولا تباعصوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا . إلى غير

ذلك مما يدعو إلى التآلف والتحاب والتأخي وحسن الظن بالله وبعباد الله .

أما بعد فقد طالعت باهتمام بالغ كتاب ( مفاهيم يجب أن تصحح ) للعلامة

الأديب الحديثي واللغوي الأريب أبي الأعلام النجباء والسادة النقباء الشريف ابن

الشرفاء السيد محمد علوي المالكي مولدا ووطنا فوجدته حزا في المفصل في كل

المسائل التي حرر حيث أنه جلب عليها من النصوص والأدلة ما لم يتبق معه شبهة في قلب من له مسكة من العلم والإنصاف ولا غرابة إذ هو عذيقها المرجب وجذيلها المحكك وابن عذيقها وجذيلها .

فعندئذ حدا بي أسلوبه الشيق وترتيبه ونخته للمواضيع وتحقيقه مناطها إلى أن أدليت بدلوى في تقريظه مساهمة في رد المناوئين له إلى صوابهم حيث أنني أرأب بهم عن تكفير مسلم بمسائل غير مجمع عليها وأجمعوا على أن المسلم إذا صدر منه قول أو فعل يحتمل الردة من تسع وتسعين وجهاً وغيرها من وجه واحد يرجع إلى ذلك القول مخافة إحراج مسلم من الإيمان .

وعندي والله أعلم أنه لم يبق للمعاندين في هذه المسائل بعد النظر في كتاب ( مفاهيم يجب أن تصحح ) إلا التسليم لكل ما جاء فيه إذ أن ما جاء فيه كاد أن يكون مجمعا عليه قديما وحديثا كما بينه الأئمة الأعلام والحفاظ الموثوق بهم في الملة الإسلامية فجزاهم الله عن الإسلام خير جزاء وجزى المؤلف هو الآخر خيرا وأبقاه ذحرا للمسلمين الذين لا يريدون إلا ظهور الحق وبارك فيه ورحم أسلافه الصالحين العالمين العاملين بعلمهم بما بثوا في قلوب أبناء المسلمين من قرآن وسنة وعلوم آله لهما تلك العلوم التي بثوها في أهل داني الأرض وقاصيها سارت بها الركبان لتبلغها بدورهم في جميع أنحاء المعمورة وإني لأشهد أن من أدركته من عائلة المؤلف وهو والده الشيخ السيد علوي عباس المالكي قد قام بدوره في ميدان الدعوة والارشاد وتبليغ العلوم الدينية وكثيرا ما حضرت وفي أعوام متتالية دروسه في المسجد الحرام كالقرآن وتفسيره ، والحديث وفقهه ، والتوحيد وعقائده ، إلى غير ذلك مما أدى إلى تكاثر التلامذة والمستمعين في حلقاته رحمه الله رحمة واسعة وأطال بقاء وارثه في العلم وحليفته في التدريس الشاب الصالح الموحد التقى السيد محمد علوي المالكي ابنه البار المنقذ من الضلالة والمحب لله ولرسوله .

حرر بنواكشوط بتاريخ ٢٠ رجب ١٤٠٥ هـ

الموافق ١١ أبريل ١٩٨٥ م

المتبري<sup>٤</sup> من الحول والقوة محمد فال الباني

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي

والأمين العام للرابطة الموريتانية للدفاع عن الإسلام

## تقریظ

العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمد سالم عدود  
رئيس المحكمة العليا بموريتانيا وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الاسلامي  
بمكة المكرمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

صَحَّتْ مَفَاهِيمُ كَانَ النَّاسُ قَدْ هَامُوا  
فِيهَا وَزَايَلَهَا لَبَسٌ وَإِنِّهَامُ  
بَحْثٌ دَقِيقٌ عَمِيقٌ لَا يَقُومُ لَهُ  
خَبْطٌ وَخَلْطٌ وَتَذَلِيسٌ وَإِنِّهَامُ  
أَبْدَى بِهِ الْعَلَوِيُّ الْمَالِكِيُّ . لَنَا  
مَا لَمْ تَنْلُهُ مِنَ الْخَدَاقِ أَفْهَامُ  
فَكَانَ مِنْهُ وَإِنْ مَا رَوَا وَإِنْ جَحَدُوا  
حَشْرٌ وَشَرْحٌ وَتَوْضِيحٌ وَإِنِّهَامُ  
وَسَاعِدَتُهُ عَلَى الْمَطْلُوبِ أَرْبَعَةٌ  
نَصْرٌ وَقَيْسٌ وَتَقْرِيبٌ وَإِنِّهَامُ  
فَرْدٌ سَبَابَةٌ كَانَتْ تُشِيرُ لَهُ  
شَتْمًا وَلَيْسَ لَهَا فِي الْكَفِّ إِهْنَامُ  
فَبَانَ أَنْ الَّذِي كَانَتْ تُرَوِّجُهُ  
وَتَدْعِيهِ خُرَافَاتٌ وَأَوْهَامُ

لَوْ اسْتَحَقَّ سُجُوداً غَيْرَ بَارِئِنَا  
خَرَّتْ لَوَجْهِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَا الْهَامُ  
بِذَاكَ قَرَّظْتُ ذَاكَ الْبَحْثُ آمَلُ أَنْ  
يَكُونَ مِنِّي لِنَصْرِ الْحَقِّ إِسْنَامُ

محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود ، عدود ،  
رئيس المحكمة العليا لجمهورية موريتانيا الاسلامية  
وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

## تقريظ

لعلامة الشيخ يوسف بن أحمد الصديقي  
القاضي الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية بدولة البحرين  
وعضو الرابطة الاسلامية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد  
الغرة المحجلين سيدنا محمد حبيبنا وشفيعنا وطبيب قلوبنا صلاة وسلاما دائمين  
ما تعاقب الليل والنهار وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار .

أما بعد : فقد اطلعت على كتاب عظيم بعنوان : ( مفاهيم يجب أن  
تصحح ) لمؤلف كريم سليل العترة الطاهرة النبوية ألا وهو العلامة الفاضل السيد  
محمد علوي المالكي . فوجدته كتابا حاويا لمعان جلية وأهداف سامية وأدلة  
واضحة لا سيما فيما أشار إليه من جواز التبرك بالآثار الشريفة والتوسل بالذات  
المحمدية وشد الرحل لمسجده العظيم والمثول أمام القبر الشريف الكريم . وقد  
عضده بالأدلة من الكتاب والسنة ومن أقوال العلماء البارزين في هذا المضمار  
سلفا وخلفا .

فجزا الله مؤلفه خير الجزاء وأجزل له المثوبة دنيا وأخرى ورزقنا الله وإياه  
محبة نبيه الكريم والافتداء على اثره القويم وأماتنا على سنته وحشرنا تحت لوائه يوم  
الدين .

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

كتبه :

يوسف بن أحمد الصديقي في ١٣ شعبان ١٤٠٥ هـ

القاضي الوكيل لمحكمة الاستئناف العليا الشرعية

بدولة البحرين

وعضو المجلس التأسيسي للرابطة الاسلامية

## تقاريف نعتذر عن نشرها

هذا وقد تفضل جملة من كبار علماء المسلمين بالكتابة عن هذه المفاهيم وتأيدها وتقريظ كتابنا والثناء عليه فجزاهم الله خير الجزاء ولكن لطولها نعتذر عن نشرها بنصها ونكتفي بذكر أسماء أصحابها وخلاصة رأيهم الكريم ألا وهي الموافقة التامة والتأييد الكامل وهم :

١ - سماحة الإمام العلامة الأصولي اللغوي الشيخ سيدي الفاروقي الرحالي شيخ العلماء ورئيس مجلس العلماء بالمغرب مراكش .

٢ - فضيلة العلامة الفقيه محدث المغرب بل محدث الدنيا الشيخ السيد عبد الله ابن محمد بن الصديق الغماري .

٣ - فضيلة العلامة المحدث الأصولي السيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري .

٤ - فضيلة الأستاذ الداعي إلى الله السيد محمد بن علي الحبشي رئيس المركز الإسلامي بأندونيسيا .

٥ - سماحة الإمام العلامة العارف بالله والداعي إليه الحبيب عبد القادر السقاف مفتي حضرموت وشيخ العلماء بها .

٦ - فضيلة العلامة الفقيه السيد إبراهيم بن عقيل مفتي الحديدة .

## كتابك شمس

كِتَابُكَ شَمْسٌ أَسْرَقَتْ بِالْحَقِيقَةِ  
وَأُنُورٌ سَنَاهُ مِنْ ضِيَاءِ النُّبُوَّةِ  
طَلَعَتْ بِهِ صُبْحاً تَفَجَّرَ فِي الْوَرَى  
يَشِعُّ بِأَنْوَارِ الْهُدَى وَالْعَقِيدَةِ  
وَضَوَاتِ أَفْكَاراً وَنَارَتْ بِهِدِيهِ  
عُقُوقٌ تَمَادَتْ فِي عَمِيقِ الدُّجْنَةِ  
فَكَانَ مَنَاراً لِلْمَفَاهِيمِ مُرْشِداً  
يُصَحِّحُ مِنْهَا مَنْ نَأَى عَنِ شَرْيَعَةِ  
بِهِ «السَّيِّدُ» الْمَعْرُوفُ بِالْعِلْمِ وَالنُّهَى  
تَجَلَّى بِعِلْمٍ مِنْ كِتَابِ وَسْنَةِ  
وَمَارَامٍ إِلَّا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَجَمَعَ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ بِوَحْدَةٍ  
وَقَالَ تَعَالَوْا لِلَّهِ وَشِرْعَتِهِ  
وَقَالَ كَفَانَا مِنْ عَدَائِهِ وَفِرْقَانِهِ  
فَإِنَّا بِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ جِسْمٌ إِذَا اشْتَكَى  
مِنْ الْجِسْمِ عَضَتْهُ فَالْجَمِيعُ بِحُمَةٍ  
أَجَلُ بَارِكِ الرَّحْمَنِ شَيْخاً مُبْجَلاً  
تَسَامَى بِفَرْعِ الدُّوْحَةِ الْعُلُويَّةِ  
وَيَارَبِ الْإِسْلَامِ فَانْصُرْ حُمَاتَهُ  
وَأَيِّدْ حُمَاةَ الْحَقِّ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ

أبو زيد إبراهيم سيد

موجه اللغة العربية بجمهورية مصر والمنتدب إلى دبي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق

وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ..

( وبعد ) .. فقد اشتمل هذا الكتاب العظيم للعلامة المحقق الجليل فضيلة الأستاذ السيد محمد علوى المالكى ، على مباحث هامة مفيدة وموضوعات جلية عديدة ، تنفع المسلمين فى هذه الأزمان التى يحتاجون فيها إلى الوقوف على المعلومات الهامة والأحكام العامة لخدمة الإسلام وتحقيق العقائد الدينية والدعوة إلى الأخذ بما جاد به الرسول صلى الله عليه وسلم على الأمة الإسلامية من الخير الجزيل والفوائد العظيمة النادرة والنصح لأمة الإسلام فى هذه الأزمان بالموعظة الحسنة . والتى يحارب فيها الإسلام من كثير من الأعداء ويحرصون فيه على تأييد المبادئ الضالة والدعوات الكاذبة ضد الإسلام وأهله تحقيقاً لأغراضهم ضد الإسلام وأهله وسعياً لتأييد أعدائه والله تعالى متم نوره على عباده المسلمين بما وفق له هذا العالم الجليل لتأييد ونشر دعوته وتحقيق مسائله والإرشاد إلى ما دعى إليه من العلم الجزيل والفوائد الثمينة والموضوعات الهامة التى تحقق الهداية والدراية والدعوة الصالحة حسماً للنزاع والمكابرة والخلاف والمدابرة .

وقد ظهر من مباحث هذا الكتاب أنه حجة وبرهان وقول صادق وبيان ، فيه للمسلمين عزة وكرامة ، وتحقيق واف وأمانة ، وأن نشره فى هذه الأزمان مما يعتز به الإسلام ويقضى به على مكائد الأعداء اللثام .

وقد أفاض المؤلف حفظه الله فى البيان الواضح حيث تحدث بعلم غزير

وتحقيق واضح عن مسائل هامة في معرفة المفاهيم الصحيحة السليمة والذود  
عن كل مفهوم سقيم ولصد الأعداء الكائدين وإقامة الحق المبين في بلاد  
الإسلام والمسلمين .

ذلك أن من مباحث هذا الكتاب ودعوته الحقه ، وأسلوبه الرصين  
ما يأتي :

التحذير من المجازفة بتكفير المسلمين : ونقل فيه انعقاد الاجماع على منع  
تكفير أحد من أهل القبلة .

التفرقة بين مقام الخالق والمخلوق : وهو الحد الفاصل بين الكفر  
والاسلام .

المجاز العقلي : وضرورة ملاحظته في مقياس الكفر والإيمان . التنظيم بين  
العبادة والأدب .

الواسطة بين الخالق والمخلوق : وبين فيها الواسطة الشركية .

البدعة وتقسيم العلماء لها : بين فيه لأصحاب الأفهام السقيمة والصدور  
الضيقة من حاربوا كل جديد وتنكروا لكل مخترع مفيد ، بين لهم المفهوم  
الصحيح للبدعة وتقسيم العلماء لها .

الاشاعة : بين فيه مذهبهم وذكر بعض من يتسبب اليهم لكي يتورع  
كل من ينسب إليهم سهام الضلال والمروق من الدين .

حقيقة التوسل : وبين فيه التوسل المتفق عليه وحديث توسل آدم بالنبي  
ونقل كلاماً نفيساً ورأياً لطيفاً للشيخ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونقل  
كلاماً جيداً عن الشوكاني في جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي  
نهاية البحث ذكر أشهر من يقول بالتوسل من كبار الأئمة وحفاظ السنة .

الشفاعة : حقيقتها وطلب الصحابة من النبي الشفاعة وتفسير ابن تيمية  
لآيات الشفاعة .

مفهوم الاستعانة :

والتوجه بالطلب للنبي وبعض الدعاوى الباطلة التي تثار حول هذا

الموضوع في الباب الثاني من الكتاب فذكر فيه مباحث قيمة عن الخصائص النبوية وحقيقة النبوة والبشرية ومفهوم الحياة البرزخية .  
وفي بحث مستفيض تحدث المؤلف عن التبرك ومفهومه الذي يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقته .

وشرع في الباب الثالث من الكتاب فذكر فيه مباحث مختلفة يتعطش إليها الباحث ، فمن بينها مشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها .  
والمفهوم الصحيح لحديث ( لا تشد الرحال .. ) وكلام أئمة السلف في مشروعية زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وذكر في هذا الباب بعض المباحث اللطيفة عن الآثار النبوية والإعتناء بها وإعتناء القرآن بآثار الأنبياء السابقين ومحافظة الصحابة على بعض الآثار النبوية ، ومفهوم الإجتماع والمولد النبوي .  
وذكر قصة عتق ثوية وتوجيه العلماء لها .

هذا عرض إجمالي لما تضمنه الكتاب والذي يعتبر مؤلفه أحد علماء الحرمين الشريفين من تطلع من بحر الحوض الإلهي والسنة النبوية صاحب المجالس العلمية والدروس النبوية والتي كان يحضرها الجم الغفير من المستفيدين .

صاحب المساهمات العلمية والندوات الفقهية التي كان يشارك بها في رابطة العالم الإسلامي وفي حفلات مسابقة تحفيظ القرآن الكريم ومؤتمرات السنة النبوية .

صاحب التأليف الكثيرة والتي بلغت نيفا وثلاثين مؤلفاً ، منها ما هو في القرآن وعلومه وفي الحديث وفنونه والسيرة النبوية والنصائح الدينية والدعوة الإصلاحية .

وكل ذلك يدعونا إلى تقدير هذا الكتاب ودعوة المسلمين إلى مطالعته والقيام بدعوته وحث العالم الإسلامي إلى وجوب دراسته وتعليم أولادهم

بما فيه من الحق الصريح والقول الصحيح والدفاع عن حرمة الإسلام ،  
وبيان ما اجترحه الأعداء من الضلالات والأكاذيب والدعوات الباطلة والله  
تعالى يؤيد عباده الصالحين بتأييد دينه القويم أتم تأييد ، وفي الختام نسأل  
الله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً لمطالعة هذا الكتاب وتأييد دعوته .

ونسأل الله تعالى لمؤلفه المثوبة والسلامة من المكائد وتحقيقاً لما دل عليه  
القرآن من نصر دعاة الحق والدين وخذلان دعاة الباطل أعداء الدين والله  
الموفق والهادي إلى الحق المبين .

تحريراً في آخر جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

**حسين محمد مخلوف**

**مفتي الديار المصرية السابق**

**عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف**

**عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي**

**الحائز على جائزة الملك فيصل العلمية**

**لخدمة الدعوة الإسلامية**

أصادق على كلمة شيخ الإسلام ومفتي الأنام سماحة الشيخ حسين محمد  
مخلوف والله ولي التوفيق .

راجي عفو ربه الغني

السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشمي الحسني

مستشار سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة

ابو ظبي

إمام موسى ضف الله

إمام مسلمي تشاد

وعضو الرابطة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم فضيلة الدكتور الحسيني هاشم

وكيل الأزهر الشريف وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة  
للعالمين ..

وبعد : فأقدم للعالم الإسلامي كتاب مفاهيم يجب أن تصحح لمؤلفه  
فضيلة الأستاذ الكبير والداعية الإسلامي المحب لله تعالى ولرسوله صلى الله  
عليه وسلم السيد محمد علوي المالكي المكي الحسني خادم العلم وأهله  
بالحرمين الشريفين ..

وفضيلة السيد محمد علوي المالكي سليل بيت النبوة ، شرفه الله وشرف  
بيته بالإتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اتسم بيت المالكي بالعلم والهداية ، وكل من له صلة بالحرمين  
الشريفين المباركين يعرف أصالة بيت المالكي في الهداية والإرشاد والدعوة  
إلى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وربط الدارسين في حلقاتهم  
بأهم وسائل التربية وانجحها بحب الله تبارك وتعالى وحب رسوله صلى الله  
عليه وسلم ، وما قامت دولة الدعوة الإسلامية ونجحت هذا النجاح الباهر  
إلا بالحب الذي غرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلوب المهاجرين  
والأنصار .

حب الله ورسوله وحب المسلمين يمثل في المؤاخاة بين الأوس والخزرج  
وبين المهاجرين والأنصار .

أمتن الله بمنهج الحب على المسلمين وبين لهم بأنه نعمة من عند الله تعالى  
فقال تعالى : « وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم  
فأصبحتم بنعمته إخوانا » الآية .

واشاد بمنهج الحب فقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني  
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » الآية .

وبيت المالكي اتخذ هذا المنهج الإسلامي وركز عليه ، فقد رأيت والد السيد محمد علوي في دروسه بالمسجد الحرام يدرّس التفسير والحديث والفقه ويربط كل ذلك بحب الله ورسوله .

وسار على منهجه نجله السيد محمد يدرس التفسير والحديث واللغة ويربط ذلك بحب الله ورسوله .

من أجل ذلك التفت القلوب حول بيت المالكي وتوافد عليه طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي ليتعلموا العلم والعمل وحب الله ورسوله .

ووضع الله القبول لهذا البيت المبارك ..

وإن القارئ لهذا الكتاب الذي تقدمه يجد فيه المنهج العلمي الذي يدل على الأصالة في الدراسة العلمية والتحقيق الجيد .

كما يدل على الدعوة الصادقة إلى حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فالكتاب يتعرض لعدة قضايا هامة مجتمعة فيما يلي :

الباب الأول : مباحث في العقيدة وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

الباب الثاني : وفيه مباحث نبوية منها الخصائص النبوية وحقيقة النبوة والبشرية ومفهوم التبرك بالنبي وآثاره .

الباب الثالث : مباحث مختلفة عن الحياة البرزخية ومشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها .

وإن هذا الكتاب يوفر على المسلمين الخلافات التي تمزق وحدتهم وذلك ببيان المنهج السليم والقول الحق حتى يجتمع المسلمون على الخير والحق ..

وفي الختام نسأل الله العليّ القدير أن ينفع الله المسلمين بهذا الكتاب القيم، وأن يكتب الخير والفلاح لمؤلفه ولكل قارئ له ..

والله ولي التوفيق ..

الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

وكيل الأزهر الشريف

والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

في ٢ - ٦ - ١٤٠٥ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تمهيد<sup>٢٩</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة ، أجلها وأعظمها نعمة  
الإسلام ، أكرم بها من نعمة ، ومنها نعمة الأمن التي تتسع فيها بالأمان  
والسكينة والإطمئنان في ربوع هذه البلاد ، ومنها نعمة تطبيق الشريعة  
الإسلامية بإقامة الحدود والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد  
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بفضل الله ثم بفضل الحكام الذين  
جعلهم الله حساناً لهذه البلاد بلاد الحرمين الشريفين ، والدين وفقهم الله  
لخدمة هذين البلدين وشرفهم بالقيام بأمانة الحراسة والرعاية والحفظ لها  
فبدلوا جهدهم في سبيل ذلك ..

ووجدوا بحمد الله العون في أبناء هذا الشعب المخلص  
الوفى الذي أعتلى البيعة بصدق ، وحفظ العهد بحق ورعى الذمة في الحضور  
والغيبة . فحن على ذلك العهد قائلون وبذلك الذمة موفون إنطلاقاً من  
إيماننا الصافي . وعقيدتنا السلفية ومنهجنا النبوي ، لأن هذه البلاد  
بفضل الله طاهرة من كل رجس سامة من كل شرك يآخجار رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذ قال :

« لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » ..

وقال :

« ان الشيطان قد ايس ان يعبد في جزيرتكم - جزيرة العرب » ..

وقال :

« اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » ..

( ودعاؤه مستجاب ) .. وقال :

« ان اخوف ما اتخوف على امتى الاشرار بالله . اما انى لست اقول  
يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكن اعمالاً لغير الله وشهوة خفية » ..  
رواه ابن ماجه فى كتاب الزهد .

خصوصاً وقد أخبر أن هذه البلاد معقل الإيمان ومرجع أهله وملاذ  
حملته إذ قال : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها .  
وفى رواية إن الإيمان ليأرز إلى الحجاز .

ولقد عمل أئمة هذه البلاد وحكامها منذ بداية عهدهم على ترسيخ  
هذه المعانى وتثبيت ذلك فى قلوب الناس ابتداءً من جلالة المرحوم الملك  
عبد العزيز الذى وحد الجزيرة وحسم الكلبة وأزال الفوارق العصبية  
وهدم الحواجز العنصرية فعاش الناس متحابين يجمعهم مبدأ واحد وتلم  
شعثهم راية واحدة راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . عاشوا على هذا  
المبدأ وإن اختلفت آراؤهم أو تنوعت مشاربهم . فالأصل واحد والولاء  
واحد ، والعهد صادق ، والوفاء لازم . ولكن بعض المتظلمين من الدخلاء  
والعسلاء الأجانب يحبون أن يصيدوا فى الماء العكر فيشوهون الصورة  
ويشيعون الفتنة ويلبسون البرءاءة الذين لا يعرفون النفاق ثوب السوء  
وارادة الشر وهم بهذا يفتحون باباً آخر نحن فى غنى عنه ويوجهون الأنظار  
إلى ما هى غافلة عنه ، ولكن لا بأس فإن الثقة فى الله وحسن الظن فى حكمانا  
أهل العقل والنظر يبعث الطمأنينة فى النفوس بأن لا يأخذوا بأقوال الوشاة  
ودعاة الفتنة من الذين لا هم لهم إلا تشريق كلمة المسلمين .

خصوصاً واننا فى ظل هذه الدولة السنية التى تحمى العقيدة الصحيحة  
الصافية وتبذل جهدها لنشرها والدعوة إليها فى ظل دولة التوحيد التى  
تنصر العلم وحصلته والدعاة إليه وتسجع على البحث العلمى النزىه النظيف  
فى أى مجال كان وعلى أى ميدان ومن أى جهة ، وتكرم فى سبيل ذلك  
أهله ، وتقدم لهم الجوائز السخية . والأوسمة الرفيعة ، سواء أكانوا

مسلمين أم غير مسلمين ، سعوديين أم غير سعوديين على حد سواء في مجال الدعوة الإسلامية أو البحوث العلمية والتطبيقية لأن المقياس هو العلم والعلم وحده . والبحث وحده . وهي بهذا الموقف تعمل على صقل العقول ، وتنوير البصائر ، وتلاقى الأفكار المعبرة عن المفاهيم التي تجيش في خواطر العلماء والباحثين وتفيض على قلوبهم . وتتواجد في نفوسهم . فيجدون السبيل ميسرا للتعبير بالكلمة ، ولا شك أن هذا أقوى سبيل لإظهار الحق وإثباته لأن الوضوح والجلال هو الأساس في بناء المجتمع ، وتلاحم أبنائه ، ولا يتم هذا إلا بالتعبير عن المفاهيم التي يحس بها الإنسان ويراها بالنسبة لأي قضية إسلامية واجتماعية .

وهذه القاعدة هي من أجل الأصول التي ينبغي أن تتبع في الدعوة إلى الإسلام . لقد أعطى الإسلام الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال : ( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ) .

وأعطى الفرصة لأبداء أي اعتراض أو مفهوم أو برهان في نفس المعارض المعاند فقال : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا في أمر الدين تارة منسردين وتارة مجتمعين . وذلك بعقد المجالس والدورات للتشاور في حقيقة الدين وحقيقة الداعي محمد صلى الله عليه وسلم فقال : « قل إننا أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتصدروا ما بصاحبكم من جنة » .

بل وأعظم من هذا وذلك أنه أعطى الثقة للسعاند ليتقدم ويتكلم ويحس بنفسه وبسوقه وبأهله كائن حتى لا يظن أنه لا عقل ولا فهم فلا بد أن يفهم ، وبعد هذا التعقل والتفهم لا بد أن نسمع منه شرة عقله وشرة فهمه فقال تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » .

هكذا أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المبطلين الضالين الذين لا دين لهم سحيج ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة ، إما أن أكون أنا على هدى أو أتم ، وإما أن أكون أنا على ضلال أو أتم .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه المفاهيم عن بعض القضايا الإسلامية

المختلف فيها بين العلماء والتي لا يستطيع أحد أن يقول إنه اتفقت آراء العلماء فيها على كلفة واحدة .

ولا بد من إظهارها ووضعها بين يدي العلماء والباحثين للدراسة والنظر . فإن كانت صواباً فالحمد لله وذلك من توفيق الله وتسديده وإن كانت خطأ فإنه منى وباجتهادى . وذلك لبيان الحقيقة وتصحيح المفاهيم العامة وليس لنا من وراء ذلك إلا الإصلاح وتوحي الصواب لأننا بشر نصيب ونخطئ وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا السيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وكل كتاب قابل للزيادة والنقصان والتغيير والتبديل والإصلاح والتهديب إلا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن ادعى سوى ذلك فهو مقرر مستر .

ونحن نعود بالله من أن نكون ممن يتعلم العلم للساراة أو للمجادلة كما قال صلى الله عليه وسلم : ( من طلب العلم ليسارى به السفهاء أو يكابر به العلماء أو يصرف به وجود الناس إليه أدخله الله النار ) .  
رواه الترمذى .

وكتابتنا هذا كغيره من الكتب . قابل للإصلاح والمراجعة ، وأنا بفضل الله اعترف في كل كتاب أزلته بذلك . وأقول في آخر ما أكتب : ( إنى أسأل الله التوفيق والسداد فيما كتبه فإن كان صواباً فمن الله . وإن كان خطأ فمن نفسى واجتهادى . وأرجو ممن يطلع عليه أن يرشدنى وأن يدلنى على أخطائى .

والعلماء لا يزالون يراجع بعضهم بعضاً فيما يكتبون ، فإذا حصل الإقناع والرضا لا يتوقف عن الأخذ به إلا مستكبر ، إلا إذا كان له في ذلك تاويل أو وجهة نظر أو دليل أو شبهة دليل ، فإنه إن لم يلتبس له العذر فأقل ما في الأمر أن يسكت عنه . والحوار بين العلماء بصورة خاصة يتميز بالموضوعية وروح التسامح والورع وتقوى الله عز وجل لأن رائدهم جسيماً التوعية والتوجيه والذود عن محارم الله عز وجل والأخذ بيد الناس لكل ما فيه الخير . فهم ورثة الأنبياء . وإنى أسأل الله عز وجل أن يجنبنا مصادر الزلل وأن يهدينا سواء السبيل .

إنه سميع مجيب وبالله التوفيق . .

محمد بن علوى المالكى الحسنى

## منهج الكتاب

هذا وقد جعلنا هذا الكتاب على ثلاثة أبواب كالاتى :

### الباب الاول :

مباحث فى العقيدة وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم .

### الباب الثانى :

مباحث نبوية . وفيها خصائص النبى صلى الله عليه وسلم وحقيقة النبوة وحقيقة البشرية ومفهوم التبرك بالنبى صلى الله عليه وسلم وآثاره .

### الباب الثالث :

مباحث مختلفة وفيها بيان الحياة البرزخية ومشروعية الزيارة النبوية وما يتعلق بها من الآثار والمشاهد والمناسبات الدينية .

\* \* \*

# الباب الأول

## مباحث في العقيدة

وفيها بيان فساد مقاييس التكفير والتضليل اليوم

## التحذير من المجازفة بالتكفير

يخطئ كثير من الناس - أصلحهم الله - في فهم حقيقة الأسباب التي تخرج صاحبها عن دائرة الإسلام وتوجب عليه الحكم بالكفر فتراهم يسارعون إلى الحكم على المسلم بالكفر بمجرد المخالفة حتى لم يبق من المسلمين على وجه الأرض إلا القليل ، ونحن نتلسس لهؤلاء العذر تحسينا للظن . ونقول لعل نيتهم حسنة من دافع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن فاتهم ان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد في أدائه من الحكمة والموعظة الحسنة وإذا اقتضى الأمر المجادلة يجب أن تكون بالتي هي أحسن كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .. وذلك ادعى إلى القبول وأقرب للحصول على المأمول ومخالفته خطأ وحماقة .

فإذا دعوت مسلما يصلي ، ويؤدي فرائض الله ، ويجتنب محارمه وينشر دعوته ، ويشيد مساجده ، ويقوم معاهده ، إلى أمر تراه حقا ويراه هو على خلافك ، والرأي فيه بين العلماء مختلف قديما اقرارا وإنكارا فلم يطاوعك في رأيك فرميت بالكفر بمجرد مخالفته لرأيك فقد قارفت عزيمة نكراء ، وأنت امرأ إذا نهاك عنه الله ودعاك إلى الأخذ فيه بالحكمة والحسنى .

وقد انعقد الاجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القادر جل وعلا أو شرك جلي لا يحتمل التأويل أو إنكار النبوة أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار متواتر أو مجمع عليه ضرورة من الدين .

والمعلوم من الدين ضرورة كالتوحيد والنبوات وختم الرسالة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والبعث في اليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار يكفر جاحده ، ولا يعذر أحد من المسلمين بالجهل به إلا من كان حديث عهد في الإسلام فإنه يعذر إلى أن يتعلمه فإنه لا يعذر بعده .

والتواتر الخبر الذي يرويه جسع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جسع  
مثلهم اما من حيث الاسناد كحديث :

« من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » ..

واما من حيث الطبقة كتواتر القرآن فإنه تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً  
درساً وتلاوة وحنظاً وتلقاه الكافة عن الكافة طبقة عن طبقة فلا يحتاج إلى  
إسناد .

وقد يكون تواتر عمل وتوارث كتواتر العمل على شيء من عصر النبوة  
إلى الآن ، أو تواتر علم كتواتر المعجزات فإن مفرداتها وان كان بعضها آحاداً  
لكن القدر المشترك منها متواتر قطعاً في علم كل إنسان مسلم .

وان الحكم على المسلم بالكفر في غير هذه المواطن التي بينها أمر  
خطير ، وفي الحديث إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ( رواه  
البخاري عن أبي هريرة ) .

ولا يصح صدوره إلا من عرف بنور الشريعة مداخل الكفر ومخارجه  
والحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان في حكم الشريعة الغراء .

فلا يجوز لأي إنسان الركض في هذا الميدان والتكفير بالأوهام والمظان  
دون ثبت ويقين وعلم متين وإلا اختلط سيلها بالأبطح ونم يبق مسلم على  
وجه الأرض إلا القليل .

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصي مع الإيمان والإقرار بالشهادتين  
وفي الحديث عن أنس رضى الله عنه قال سلى الله عليه وسلم :

« ثلاث من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا تكفره بذنوب ولا  
نخرجه عن الاسلام بالعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله الى ان يقاتل آخر  
امتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالأقدار » ..

( أخرجه أبو داود ) ..

وكان إمام الحرمين يقول لو قيل لنا فصلّوا ما يقتضى التكفير من  
العبارات مما لا يقتضى لقلنا هذا مع في غير مطمع فإن هذا بعيد المدرك

وعر المسلك يستمد من أصول التوحيد ومن لم يحظ بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق .

لذلك نحذر كل التحذير من المجازفة بالتكفير في غير المواطن السابق بيانها لأنه جد خطير والله الهادي إلى سواء السبيل وإليه المصير .

\* \* \*

## سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

ولأجل ما بينا كانت كراهة المسلمين ومقاطعتهم ومدابرتهم محرمة وكان سباب المسلم فسوقا وقتاله كفراً إذا استحل .

وكفى رادعاً في هذا الباب حديث سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه في سرية إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ، فلما انتهى إليهم تلقوه فقال لهم أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون ، قال فالقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم وتفرقت بقية القوم ، وفي رواية انتهى خالد إلى القوم فتلقوه فقال لهم ما أتم أي : امسلمون !! أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بسحمد صلى الله عليه وسلم وبيننا المساجد في ساحتنا وأذننا فيها وفي لفظه لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم قالوا إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فحفظنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكفف بغضا وفرقهم في أصحابه فلما كان السحر نادى منادى خالد من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل خالد . قال : اللهم انى أبرأ إليك بما صنع خالد ، قال ذلك مرتين .

وقد يقال أن سيدنا خالداً فهم أنهم قالوا ذلك على سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام وإنما أنكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم العجلة وعدم

التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صباأنا وقد قال عليه الصلاة والسلام نعم عبد الله أخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين .

وكذلك قصة سيدنا أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه فيما رواه عنه البخارى عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناها قال لا إله الا الله فكف الأنصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتله فلما قدمنا بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أسامة أقتله بعد ما قال لا إله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت ذلك اليوم ، وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : الا شققت على قلبه فتعلم أصادق أم كاذب ، قال أسامة : لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله الا الله .

وقد سئل على - رضى الله عنه - عن المخالفين له من الفرق أكفارهم ؟ قال : لا ، إنهم من الكفر فروا ، فليل : أمنافقون هم ؟ فقال : لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، وهؤلاء يذكرون الله كثيرا ، فليل : أى شىء هم ؟ قال : قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا .

\* \* \*

## مقام الخالق ومقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ونعتقد أن من خلط بين المقامين فقد كفر والعياذ بالله .

ولكل مقام حقوقه الخاصة ولكن هناك أموراً ترد في هذا الباب وخصوصاً فيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من البشر وترفعه عليهم هذه الأمور قد تشبه على بعض الناس بقصر عقولهم وضعف تفكيرهم وضيق نظرهم وسوء فهمهم فيبادرون إلى الحكم بالكفر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام فلنا منهم أن في ذلك تخليطاً بين مقام الخالق والمخلوق ورفعاً لمقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقام الألوهية وإننا نبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك .

وإننا بفضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى وما يجب لرسوله صلى الله عليه وسلم ونعرف ما هو محض حق لله تعالى وما هو محض حق لرسوله صلى الله عليه وسلم من غير غلو ولا إطرأ يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية في المنع والعطاء والنفع والضرر الاستقلالي [دون الله تعالى] والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك والتدبير والتفرد بالكمال، والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة بسختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها .

أما الغلو الذي يعنى التغالى في محبته وطاعته والتعلق به ، فهذا محبوب ومطلوب كما جاء في الحديث :

« لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم » ..

والمعنى أن اطراءه والتغالى فيه والثناء عليه بما سوى ذلك هو محمود ولو كان معناه غير ذلك لكان المراد هو النهى عن اطرائه ومدحه أصلاً ومعلوم أن هذا لا يقوله أجهل جاهل في المسلمين فإن الله تعالى عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن بأعلى أنواع التعظيم . فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه .. نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله القائل حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك ، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله ذاتها من تقوى القلوب » وقال تعالى : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام فإنها أحجار ، وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والماتزم ، ونحن في ذلك كله لم نعبد إلا الله تعالى ولم نعتقد تأثيراً لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى .



## مقام المخلوق

أما هو صلى الله عليه وسلم فإننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم بشر يجوز عليه ما يجوز على غيره من البشر من حصول الأعراض والأمراض التي لا توجب النقص والتنفير كما قال صاحب العقيدة :

وجائز في حقهم من عرض بغير نقص كخفيف المرض

وأنه صلى الله عليه وسلم عبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا إلا ما شاء الله قال تعالى : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » الأعراف : ١٨٨ .

وأنه صلى الله عليه وسلم قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة

وكشف الغمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين فانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً كما قال تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وقال : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون » .

والعبودية هي أشرف صفاته صلى الله عليه وسلم ولذلك فإنه يفتخر بها ويقول [ إنما أنا عبد ] ووصفه الله بها في أعلى مقام « سبحان الذي أسرى بعبده » وقال : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » والبشرية هي عين إعجازه فهو بشر من جنس البشر لكنه متميز عنهم بما لا يلحقه به أحد منهم أو يساويه كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه في الحديث الصحيح :

« انى لست كهيتنكم انى ابيت عند ربي يطعمنى ويسقبنى » . .

وبهذا ظهر أن وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشرية يجب أن يقترن بما يميزه عن عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة وهذا ليس خاصاً به صلى الله عليه وسلم بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه وتعالى لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية ، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك فمن ذلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال : « فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا » سورة هود : ٢٧ .

ومن ذلك قول قوم موسى وهارون في حقها فيما حكاه الله عنهم إذ قال : « فقالوا أتؤمن بشرين مثلنا وقومها لنا عابدون » المؤمنون : ٤٧ .

ومن ذلك قول ثمود لبيهم صالح فيما حكاه الله عنه بقوله : « ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين » سورة الشعراء : ١٥٤ .

ومن ذلك قول أصحاب الأيكة لبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله : « قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين » سورة الشعراء : ١٨٦ .

ومن ذلك قول المشركين في حق النبي صلى الله عليه وسلم قد

رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر أنواع البشر (١) .

فمن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال : تنام عيناى ولا ينام قلبى . وجاء في الصحيح أنه قال :

« انى اراكم من وراء ظهري كما اراكم من امامى » ..

وجاء في الصحيح أنه قال :

« اوتيت مفاتيح خزائن الارض » ..

وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قد مات إلا أنه حتى حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من يصلى عليه وتعرض عليه أعمال الأمة فيفرح بعمل المحسنين ويستغفر للمسيئين وأن الله حرم على الأرض أن تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصفقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على . قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارميت يعنى بليت ؟ فقال : « ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء » ..

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه .

وفى ذلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطى أسماها « إنبياء الأذكيا بحياة الأنبياء » .

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) سبأنى بحث خاص فى هذا الموضوع بعنوان « الانبياء بشر ولكن » .

« حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا انا مت كانت وفاتي خيرا لكم  
تعرض على اعمالكم فان رايت خيرا حمدت الله وان رايت شرا استغفرت لكم » .

قال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام » . .

رواه أحمد وأبو داود . قال بعض العلماء رد على روحى أى نطقى

وعن عمار بن يسار رضي الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وكل بقبرى ملكا اعطاه الله

اسماع الخلائق فلا يصلى على احد الى يوم القيامة الا ابلفنى باسمه واسم

ابيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك » .

رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

« ان لله تبارك وتعالى ملكا اعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبرى اذا

مت فليس احد يصلى على صلاة الا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن فلان

قال : فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا » . .

رواه الطبراني في الكبير بنحوه (١) .

وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قد مات إلا أن فضله ومقامه

وجاهه عند ربه باق لاشك في ذلك ولا ريب عند أهل الإيمان ولذلك فإن

التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى إنما يرجع في الحقيقة إلى اعتقاد وجود تلك

المعاني واعتقاد محبته وكرامته عند ربه وإلى الإيمان به وبرسالته وليس هو

عبادة له بل إنه مهسا عظمت درجته وعلت رتبته فهو مخلوق لا يضر ولا ينفع

من دون الله الا بإذنه .

قال تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إليكم إله واحد »

\* \* \*

(١) كثير من هذه الاحاديث سيأتي مفصلا في مباحث اخرى من هذه الرسالة لمناسبة اخرى  
والحديث الواحد يستدل به العلماء على اكثر من مسألة في اكثر من موضع واحد .

## أمور مشتركة بين المقامين

### لا تنافى في التنزيه

وقد أخطأ كثير من الناس في فهم بعض الأمور المشتركة بين المقامين (مقام الخالق ومقام المخلوق) فظن أن نسبتها إلى مقام المخلوق شرك بالله تعالى .

ومن ذلك بعض الخصائص النبوية مثلا (١) ، التي يخطئ بعضهم في فهمها فيقيسونها بمقياس البشرية ، ولذلك يستكثرونها ويستعظموها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون أن وصفه بها معناه وصفه ببعض صفات الألوهية ، وهذا جهل محض لأنه سبحانه وتعالى يعطى من يشاء وكما يشاء بلا موجب ملزم وإنما هو تفضل على من أراد إكرامه ورفع مقامه وإظهار فضله على غيره من البشر ، وليس في ذلك انتزاع لحقوق الربوبية وصفات الألوهية . فهي محسونة بما يناسب مقام الحق سبحانه وتعالى . وإذا اتصف المخلوق بشيء منها فيكون بما يناسب البشرية من كونها محدودة مكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق ولا تديره ولا أمره إذ هو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . وكم من أمور جاء ما يدل على أنها حق لله سبحانه وتعالى . ولكنه سبحانه وتعالى ممن بها على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره .

وحينئذ فلا يرفعه وصفه بها إلى مقام الألوهية أو يجعله شريكا لله سبحانه وتعالى .

فمنها : الشفاعة . فهي لله قال الله تعالى : « قل لله الشفاعة » وهي ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولغيره من الشفعاء بإذن الله كما جاء في الحديث :

« أوتيت الشفاعة » ..

(١) سيأتي في هذه الرسالة بحث خاص عن الخصائص الحمديّة وموقف العلماء منها وما تذكره هنا هو من باب التنظير .

« انا اول شافع ومشفع » ..

ومنها : علم الغیب ، فهو الله سبحانه وتعالى : « قل لا يعلم من فی السموات والأرض الغیب إلا الله » . وقد ثبت أن الله تعالى علم نبیه من الغیب ما علمه وأعطاه ما أعطاه « عالم الغیب فلا یتظهر علی غیبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » .

ومنها : الهدایة فهی خاصة بالله تعالى . قال الله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم له شيء من ذلك فقال : « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » والهداية الأولى غير الهداية الثانية . وهذا إنما يفهمه العقلاء من المؤمنین الذین یعرفون الفرق بین الخالق والمخلوق . ولولا ذلك لاحتاج أن يقول : وإنك لتهدي هداية إرشاد ، أو أن يقول : وإنك لتهدي هداية غير هدايتنا ، ولكن كل ذلك لم يحصل . بل أثبت له هداية مطلقة بلا قيد ولا شرط ، لأن الموحّد منّا معشر المخاطبين من أهل الإسلام يفهم معانى الألفاظ ويدرك اختلاف مدلولاتها بالنسبة لما أضيف إلى الله وبالنسبة لما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظير هذا ما جاء في القرآن من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفقة والرحمة إذ يقول : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه بذلك أيضا في أكثر من موضع ، فهو سبحانه وتعالى « رؤوف رحيم » ومعلوم أن الرفقة والرحمة الثانية غير الأولى . ولما وصف نبیه صلى الله عليه وسلم بذلك الوصف وصفه به بالإطلاق بلا قيد ولا شرط ، لأن المخاطب وهو موحّد مؤمن بالله يعلم الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا ذلك لاحتاج أن يقول في وصفه صلى الله عليه وسلم رؤوف برأفة غير رأفتنا ورحيم برحمة غير رحمتنا ، أو أن يقول : رؤوف برأفة خاصة أو رحيم برحمة خاصة أو أن يقول : رؤوف برأفة بشرية ورحيم برحمة بشرية ، ولكن كل ذلك لم يحصل بل أثبت له رأفة مطلقة ورحمة مطلقة بلا قيد ولا شرط فقال : بالمؤمنين رؤوف رحيم .

\* \* \*

## المجاز العقلي واستعماله

ولاشك أن المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ، فمن ذلك قوله تعالى : « وإذا تليت عليهم آياته زادته إيمانا » فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة ، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده . وقوله تعالى : « يوما يجعل الولدان شيبا » فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي لأن اليوم محل جعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم ، والجاعل حقيقة هو الله تعالى ، وقوله تعالى : « ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا » فإن إسناد الاضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الاضلال والهادى والمضل هو الله تعالى وحده . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : « ياها مان ابن لى صرحا » فإسناد البناء إلى ها مان مجاز عقلي لأنه سبب فهو أمر يأمر ولا يبنى بنفسه والبانى إنما هم الفعلة « من العمال » . وأما الأحاديث ففيها شىء كثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازى فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها وقال العلماء : إن صدور ذلك الإسناد من موحد كاف في جعله إسنادا مجازيا لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض ، بخلاف ما لو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الشرك .



## ضرورة ملاحظة النسبة المجازية

### في مقياس الكفر والايمان

وقد تمسكت طوائف من أهل الضلالات بذيل شبهة ظواهر الألفاظ دون نظر إلى القرائن والمقاصد وبدون نظر إلى الجمع بما لا يؤدي إلى التعارض بين الوارد كالقائلين بخلق القرآن تمسكوا بنحو قوله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » والقائلين بالقدر تمسكوا بنحو قوله تعالى : « بما كسبت

أيديكم بما كنتم تعملون » إلى غير ذلك ، والقائلين بالجبر تمسكوا بنحو  
قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » .. « وما رميت إذ رميت ولكن  
الله رمى » .

وكشف الغطاء عن ذلك أن جميع الأمة غير القدرية على أن أفعال العباد  
مخلوقة لله تعالى : « والله خلقكم وما تعلمون » وقوله تعالى : « وما رميت  
إذ رميت ولكن الله رمى » . وإن كان يجوز أن يوصف بها العبد على وجه  
آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب كما في قوله تعالى : « لها ما كسبت  
وعليها ما اكتسبت » وقوله تعالى . « بما كسبت أيديكم » إلى غير ذلك من  
الآيات المصرحة بإضافة الكسب إلى العبد . وليس من ضرورة تعلق القدرة  
بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط لأن قدرة الله تعالى في الأزل كانت متعلقة  
بالعالم قبل اختراعه تعالى لوجوده ، وهي عند اختراعه متعلقة به بنوع آخر  
من التعلق .

#### حقيقة نسبة الأفعال للعباد :

ومن هذا يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها .  
وأفعال العباد نسبتها إليهم على طريق الكسب لا الاختراع لأن الله تعالى هو  
المخترع لها ، والمقدر لها ، والمريد لها . ولا يرد أنه كيف يريد ما نهى عنه  
لأن الأمر يغير الإرادة بدليل أمره جميع الناس بالإيمان ولم يرد من أكثرهم  
لقوله تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . فنسبة الأفعال  
إلى العباد من نسبة المسبب إلى السبب أو الواسطة . وهذا لا منافاة فيه  
لأن مسبب الأسباب هو الذي خلق الواسطة وخلق فيها معنى الواسطة ولولا  
ذلك الذي أودع الله تعالى فيها لم تصلح أن تكون واسطة وسواء كانت  
مما لم يودع العقل كالجماد والأفلاك والمطر والنار ، أو كانت عاقلة من ملك  
أو إنسي أو جنى .

#### اختلاف المعنى باختلاف النسبة النظرية :

ولعلك تقول : لا تعقل نسبة الفعل الواحد إلى فاعلين لاستحالة اجتماع  
مؤثرين على أثر واحد ، فنقول : نعم ، هو كما قلتم لكن محله إذا لم يكن  
الفاعل إلا معنى واحد في الاستعمال .

أما إذا كان له معنيان فيكون الاسم مجملا مرددا بينهما في الاستعمال  
 وحينئذ لا يمتنع إطلاقه على كل منهما كما هو المعلوم من الاستعمال في  
 الأسماء المشتركة أو في الحقيقة والمجاز كما يقال : قتل الأمير فلانا ، ويقال :  
 قتله السيف فإطلاق القتل على الأمير بمعنى غير المعنى الذي أطلق به على  
 السيف فقولنا : إن الله تعالى فاعل بمعنى أنه المخترع الموجد . وقولنا : إن  
 المخلوق فاعل فمعناه أنه المحل الذي خلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق  
 فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم ، فارتباط القدرة بالإرادة والحركة  
 بالقدرة ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع . هذا إذا كان المحل  
 عاقلا وإلا فهو من ترتيب المسببات على أسبابها ، فصح أن يسمى كل ماله  
 ارتباط بقدرة فاعلا كيفما كان الارتباط ، كما يسمى السيف قاتلا باعتبار ،  
 والأمير قاتلا باعتبار لأن القتل ارتبط بكليهما وإن كان ارتباطه على وجهين  
 مختلفين ساغ تسمية كل منهما فاعلا ، فمثل ذلك اعتبار المقدورات  
 بالقدرتين . والدليل على جواز هذه النسبة وتطابقها نسبة الله تعالى الأفعال  
 إلى الملائكة تارة وتارة إلى غيرهم من العباد ومرة أخرى نسبتها بعينها إلى  
 نفسه فقال تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم » وقال تعالى :  
 « الله يتوفى الأتفس حين موتها » وقال تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون »  
 بالإضافة إلينا ثم قال تعالى : « أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا  
 الأرض شقا ، فأنبثنا فيها حبا » الآية . وقال تعالى : « فأرسلنا  
 إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » ثم قال تعالى : « فنفخنا فيها من روحنا »  
 والنافخ جبريل عليه السلام ، وقال تعالى : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه »  
 والقارئ الذي يسمع النبي قراءته جبريل ، وقال تعالى : « فلم تقتلوهم  
 ولكن الله قتلهم » .. « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » فنفى عنهم  
 القتل وأثبتته لنفسه ، ونفى عنه الرمي وأثبتته لنفسه وليس المراد نفي الحس  
 من قتلهم الكفار ورميه لهم عليه السلام بالحصباء ولكن المعنى أنهم ما قتلوهم  
 ولا رماهم بالمعنى الذي يكون الرب به قتلهم ورماهم وهو الاختراع والتقدير  
 إذ هما معنيان مختلفان ، وتارة ينسب الفعل إليهما معا كقوله تعالى :  
 « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من  
 فضله ورسوله » .

وروت عائشة - رضى الله عنها - : ان الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق الجنين يبعث ملكا فيدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا ، فيقول : يارب أذكر أم أنثى ؟ أسوى أم معوج ؟ فيقول تعالى : ما شاء ويخلق الملك ، وفي لفظ آخر : فيصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة .

فإذا فهت هذا اتضح لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة ولا تناقض بينهما ، ولذلك الفعل ينسب تارة للجماد كما في قوله تعالى : « توتى أكلها كل حين بإذن ربها » فالشجرة لا يتأتى منها الإتيان بشرها ، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم للذى ناوله ثمرة : خذها لو لم تأتها لأنتك . . كما في الطبرانى وابن حبان ، وإضافة الإتيان تختلف إلى الرجل وإلى التمرة ، فمعنى إتيان التمرة غير معنى إتيان الرجل ، فالإتيان منهما مجازان مختلفان في الاعتبار فمجاز إطلاق الإتيان على الرجل بمعنى أن الله خلق فيه القدرة والارادة للإتيان بها . وإتيان التمرة بمعنى أن الله يسبب من يأتى بها والحقيقة إنسا هي إضافة الإتيان إلى الله تعالى في كل منهما ، ولأجل اختلاف الاعتبار في الوسائط تارة تكون ملاحظة الوسائط في الأفعال كقرا كما في جواب قارون لموسى عليه السلام بقوله : « إنسا أوتيته على علم عندى » وكما في حديث : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ، وهذا الكفر باعتبار أن الوسائط مؤثرة ومختصرة . قال النووى : اختلف العلماء في كفر من قال : مطرنا بنوء كذا على قولين :

#### أحدهما :

هو كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ، ومن اعتقد هذا فلاشك في كفره وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء ، والشافعى منهم وهو ظاهر في الحديث ، قالوا : وعلى هذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته

وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال : مطرنا في وقت كذا ،  
فهذا لا يكفر .

واختلفوا في كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها ، وسبب الكراهة  
أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية  
ومن سلك مسلكهم .

### والقول الثاني :

في أصل تأويل الحديث : أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على  
إضافة الغيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد تدير الكوكب ويؤيد  
هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب : أصبح من الناس شاكر وكافر . وفي  
الرواية الأخرى : ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من  
الناس بها كافرين . فقوله : بها يدل على أنه كفر النعمة . والله أعلم .  
فأنت تراه قال باتفاق العلماء على أن من نسب الفعل إلى الواسطة لا يكفر  
إلا إذا اعتقد أنها هي الفاعلة المدبرة المخترعة وإذا لم تكن ملاحظة الواسطة  
بهذا الاعتبار بحيث أن الواسطة علامة أو ظرف الخلق المقدور فيها فلا كفر،  
بل تارة يندب الشرع إلى ملاحظتها كقول النبي صلى الله عليه وسلم .

**« من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى  
تعلموا انكم قد كافأتموه » .**

وقوله صلى الله عليه وسلم :

**« من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . .**

وذلك لأن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار لا ينافي رؤية المنة لله سبحانه  
وتعالى . وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم بل وأثابهم  
عليها وهو الباعث لارادتهم لها . والخالق لقدرتهم عليها كقوله تعالى :  
« نعم العبد إنه أواب » وقوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »  
وقال تعالى : « قد أفلح من زكاها » الآية .

وإذا ظهر لك أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه  
المعاني إذا فهمت .

فالمعاني أوسع من العبارات ، والصدور أوسع من الكتب المؤلفات ،  
ولو وقفنا مع حقيقة اللفظ دون المجاز ، لم نجد إلى الجمع بين النصوص  
أو التفرقة من جواز ، الا ترى إلى ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم عليه  
السلام من قوله : « رب إنهن أضللن كثيرا من الناس » أترى أن إبراهيم  
يشرك مع الله تعالى الجماد وهو القائل : « أتعبدون ما تحتون والله خلقكم  
وما تعملون » والأمر الجامع في ذلك أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره في  
الاختراع والتأثير فهو مشرك سواء كان الملحوظ معه جمادا أو آدميا نبيا  
أو غيره أو ملكا أو جنا أو عملا عمله ، ومن اعتقد السببية في شيء من ذلك  
اطردت أو لم تطرد ، فجعل الله تعالى لها سببا لحصول مسيبتها وأن الفاعل  
هو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سببا  
لأن خطاه في السبب لا في المسبب الخالق المدبر . جل جلاله وعظم شأنه .

\* \* \*

## التعظيم بين العبادة والأدب

يخطيء كثير من الناس في فهم حقيقة التعظيم وحقيقة العبادة فيخلطون بينهما خلطا بينا ويعتبرون أن أى نوع من أنواع التعظيم هو عبادة للمعظم فانقيام وتقبيل اليد وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بسيدنا ومولانا والوقوف أمامه في الزيارة بأدب ووقار وخضوع ، كل ذلك غلو يؤدي إلى العبادة لغير الله تعالى وهذا في الحقيقة جهل وتعنت لا يرضاه الله ولا رسوله وتكلف تأباه روح الشريعة الإسلامية .

فهذا آدم أول الجنس الإنساني ، وأول عباد الله الصالحين من هذا الجنس أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له إكراما وتعظيما لما آتاه من علمه وإعلاما لهم باصطفائيته من بين سائر مخلوقاته قال تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذي كرمت على » إلى آخر الآية. وفي آية أخرى قال « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .. وفي آية أخرى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » .. فالملائكة عليهم السلام عظموا من عظمة الله وإبليس تكبر أن يسجد لمن خلق من طين فهو أول من قاس الدين برأيه وقال أنا خير منه ، وعلل ذلك بعله خلقه من نار وخلق آدم من طين وأنف من تكرمته عليه واستنكف من السجود له فهو أول المتكبرين ولم يعظم من عظمة الله ، فطرد من رحمة الله لتكبره على هذا العبد الصالح وهو عين التكبر على الله لأن السجود إنما هو لله إذ هو بأمره وإنما جعل السجود له تشريفا وتكريما له عليهم وكان من الموحدين فلم ينفعه توحيدده .

ومما جاء في تعظيم الصالحين قال الله تعالى في حق يوسف عليه السلام : « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا » تحية وتكريما وتشريفا وتعظيما له عليهم والسجود من إخوته له إلى الأرض يدل عليه قوله تعالى وخروا . ولعله كان جائزا في شرعهم ، أو كسجود الملائكة لآدم عليه السلام تشريفا وتعظيما وامثالها لأمر الله تأويلا لرؤيا يوسف إذ رؤيا الأنبياء وحى .

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى في حقه :  
 « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه  
 وتوقروه » وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله »  
 وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »  
 الآيات الثلاث وقال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم  
 بعضاً » ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام . قال  
 سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول أى لا تتكلموا قبله ، وإذا قال  
 فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضاءه فيه  
 وأن يفتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا  
 يسبقوه به . ثم وعظهم وحذرهم من مخالفة ذلك فقال « واتقوا الله إن الله  
 سميع عليم » . قال السلمى اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمة إنه سميع  
 لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول  
 كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضاً باسمه  
 قال أبو محمد مكى أى لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه  
 باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يجب أن  
 ينادى به يا رسول الله ، يا نبي الله ، وهذا كقوله في الآية الأخرى « لا تجعلوا  
 دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين  
 ثم خوفهم الله تعالى بحبوط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه .. والآية  
 نزلت في جماعة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد اخرج إلينا  
 فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون .

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وما كان أحد أحب إليّ من رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملاً عيني  
 منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطققت لأتى لم أكن أملاً عيني منه .

وروى الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج  
 على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا  
 يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران إليه وينظر  
 إليهما ويتسمان إليه ويتسم لهما .

وروى أسامة بن شريك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وإنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكانوا يقتتلون عليه ولا يصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلکوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال نا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا .

وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال :

« كنا جلوسا عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير . ما يتكلم منا منكلم ، إذ جاءه اناس فقالوا : من احب عباد الله الى الله تعالى ؟ قال احسنهم خلقا . كذا في الترغيب » . .

( ج ٤ ص ١٨٧ ) وقال : رواه الطبراني برجال محتج بهم في الصحيح .

وأخرج أبو يعلى وصححه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

لقد كنت اريد ان اسال رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخره سنتين من هيبته » . .

وأخرج البيهقي عن الزهري قال :

« حدثني من لا اتهم من الأنصار ان رسول الله ﷺ كان اذا توضأ او تنخم ابتدروا نخامته فمسحوا بها وجوههم وجلودهم . فقال رسول الله ﷺ : لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نلتمس به البركة . فقال رسول الله ﷺ : من احب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره .

كذا في الكنز ( ج ٨ ص ٢٢٨ ) .

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لا بد من ملاحظتهما أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق . والثاني أفراد الربوبية واعتقاد أن الله تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه . فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك - كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر .

وأما من بالغ في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا . وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط .

وإذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفيرهم إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة .

\* \* \*

## الواسطة الشركية

يخطيء كثير من الناس في فهم حقيقة الواسطة فيطلقون الحكم هكذا جزافا بأن الواسطة شرك . وان من اتخذ واسطة بأي كيفية كانت فقد أشرك بالله وأن شأنه في هذا شأن المشركين القائلين : « إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى » وهذا كلام مردود والاستدلال بالآية في غير محله . وذلك لأن هذه الآية الكريمة صريحة في الإنكار على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالى وإشراكهم إياها في دعوى الربوبية على أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى ، فكفرهم وإشراكهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهنا مهمة لا بد من بيانها وهي أن هذه الآية تشهد بأن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكى ربنا عنهم من قولهم مسوغين عبادة الأصنام : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فإنهم لو كانوا صادقين في ذلك لكان الله أجل عندهم من تلك الأصنام ، فلم يعبدوا غيره وقد نهى الله المسلمين من سب أصنامهم بقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » .

روى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سيدنا قتادة رضى الله عنه أنه قال : « كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عز وجل فأنزل الله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » هذا سبب نزول هذه الآية . فهي إذن تنهى المؤمنين نهى تحريم شديد أن يقولوا كلمة نقص في الحجارة التي كان يعبدونها الوثنيون بمكة المشرفة ، لأن قول تلك الكلمة يتسبب عنه غضب أولئك الوثنيين غيرة على تلك الأحجار التي كانوا يعتقدون من صميم قلوبهم أنها آلهة تنفع وتضر ، وإذا غضبوا قابلوا المسلمين بالمثل فيسبون ربهم الذي يعبدونه وهو رب العالمين . ويرمونه بالنقائص وهو المنزه عن

كل نقص ، ولو كانوا صادقين بأن عبادتهم لأصنامهم تقربهم إلى الله زلفى ما اجترؤا أن يسبوه انتقاما ممن يسبون الهتهم فإن ذلك واضح جدا في أن الله تعالى في نفوسهم أقل من تلك الحجارة .

وقل ذلك أيضا في قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » فانهم لو كانوا يعتقدون حقا أن الله تعالى الخالق وحده وأن أصنامهم لا تخلق ، لكانت عبادتهم لله وحده دونها أو لكان على الأقل احترامهم له تعالى فوق احترامهم لتلك الحجارة . وهل هذا يتفق مع شتمهم له عز وجل غيرة على حجارتهم وانتقاما لها منه سبحانه وتعالى ؟ إن البداهة تحكم أنه لا يتفق أبدا ، وليست الآية التي معنا وتحتها تدل على أن الله تعالى أقل عند أولئك المشركين من حجارتهم بل لها أمثال ! منها قوله تعالى : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون » فلو أن الله تعالى أقل في نفوسهم من تلك الحجارة ما رجحوها عليه هذا الترجيح الذي تحكيه هذه الآية واستحقوا عليه حكم الله عليهم بقوله : « ساء ما يحكمون » .

ومن هذا القبيل قول أبي سفيان رضى الله عنه قبل إسلامه : « اعل هبل » كما رواه البخارى ينادى صنمهم المسمى بهبل أن يعلو في تلك الشدة رب السموات والأرض ويقهره ليغلب هو وجيشه جيش المؤمنين الذى يريد أن يغلب آلهتهم . هذا مقدار ما كان عليه أولئك المشركون مع تلك الأوثان ومع الله رب العالمين .

فليعرف حق المعرفة فإن كثيرا من الناس لا يفهمونه كذلك ويننون عليه ما يننون .

الا ترى أن الله لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة في صلاتهم توجهوا بعبادتهم إليها واتخذوها قبلة ؟ وليست العبادة لها وتقبل الحجر الأسود إنما هو عبودية لله تعالى ، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولو أن أحدا من المسلمين نوى العبادة لهما لكان مشركا كعبدة الأوثان .

فالواسطة لا بد منها وهى ليست شركا وليس كل من اتخذ بينه وبين الله

واسطة يعتبر مشركا وإلا اكان البشر كلهم مشركين بالله لأن أمورهم جميعاً  
تبنى على الواسطة فالنبي صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن بواسطة جبريل  
فجبريل واسطة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم  
الواسطة العظمى للصحابة رضى الله تعالى عنهم فقد كانوا يفرعون إليه في  
الشدائد فيشكون إليه حالهم ويتوسلون به إلى الله ويطلبون منه الدعاء  
فما كان يقول لهم أشركتم وكفرتم فإنه لا يجوز الشكوى إلى ولا الطلب  
منى بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسالوا بأنفسكم فإن الله أقرب إليكم  
منى لا ، لا بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن المعطى حقيقة  
هو الله وأن المانع والباسط والرازق هو الله ، وأنه صلى الله عليه وسلم يعطى  
بإذن الله وفضله وهو الذى يقول ( إنما أنا قاسم والله معط ) وبذلك يظهر  
أنه يجوز وصف أى بشر عادى بأنه فرج الكربة وقضى الحاجة أى كان  
واسطة فيها فكيف بالسيد الكريم والنبي العظيم أشرف الكونين وسيد  
الثقلين وأفضل خلق الله على الاطلاق ؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم  
كما جاء فى الصحيح :

« من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا » ؟

فالمؤمن مفرج الكربات .

ألم يقل صلى الله عليه وسلم :

« من قضى لآخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له »

فالمؤمن قاض للحاجات .

ألم يقل فى الصحيح :

« من ستر مسلما » . .

الحديث ؟

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم :

« ان لله عز وجل خلقا يفرع اليهم فى الحوائج » ؟ . .

ألم يقل فى الصحيح :

« والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » ؟ . .

ألم يقل في الحديث :

« من اغاث ملهوا فكتب الله له ثلاثا وتسعين حسنة » ..

رواه أبو يعلى والبزار والبيهقى . فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى  
وستر وفرع إليه مع أن المفرج والقاضى والستار والمعين حقيقة هو الله  
عز وجل لكنه لما كان واسطة في ذلك صح نسبة الفعل إليه .

وقد جاء في الأحاديث النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
أحاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن أهل الأرض  
بالمستغفرين وعمار المساجد وأن الله سبحانه وتعالى يرزق بهم أهل الأرض  
وينصرهم ويصرف عنهم البلاء والفرق .

روى الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن عن مانع الديلمى رضى  
الله تعالى عنه أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «

« لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم  
رضى رضا » ..

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله  
عليه وسلم قال :

« هل تنصرون وترزقون الا بضعفاتكم » ..

وروى الترمذى وصححه والحاكم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن  
النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لعلك ترزق به » ..

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفرع اليهم الناس فى حوائجهم  
اولئك الامنون من عذاب الله تعالى » ..

رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والقضاعى وهو حسن .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته  
ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله عز وجل مادام فيهم » .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه بلاء » ..  
ثم قرأ ابن عمر : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »  
رواه الطبراني .

وعن ثوبان رفع الحديث قال :  
« لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى ياتي  
امر الله » ..

وعن عبادة بن الصامت قال : قال صلى الله عليه وسلم :  
« الابدال في امتي ثلاثون ، بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون قال  
قتادة : اني لارجو ان يكون الحسن منهم » ..  
رواه الطبراني .

ذكر هذه الأحاديث الأربعة الحافظ ابن كثير في التفسير عند قوله تعالى  
« ولولا دفع الله الناس » - في سورة البقرة - وهي صالحة للاحتجاج .  
ومن مجموعها يصير الخبر صحيحا .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لن تخلو الأرض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن ، فبهم تسقون  
وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر » ..  
رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . ( كذا في مجمع الزوائد  
ج ١٠ / ٦٢ ) .

#### الواسطة العظمى :

وفي يوم المحشر الأعظم الذي هو يوم التوحيد ويوم الإيمان يوم يبرز  
العرش ، يظهر فضل الواسطة العظمى صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود  
والحوض المورود الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا تضيع ضمانته  
عند من وعده بأن لا يخيب ظنه ولا يخزيه أبدا ولا يحزنه ولا يسوؤه في أمته  
حيث يتوجه الخلق إليه ويستشفعون به فيقوم فلا يرجع إلا بخلعة الاحسان  
وتاج الكرامة المتمثل في قول الله له : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع  
وسل تعط .

## ثوب الزور

الأدعياء والمتظفون على بساط الحقيقة كثيرون ، والحقيقة بريئة منهم ولا تعترف لهم بصحة نسبتهم إليها .

وكل يدعى وصلا بليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا

هذا بالإضافة إلى أنهم يشوهون الصورة ويسئون السمعة وهؤلاء الأدعياء يصدق عليهم الوصف النبوي الدقيق الذي يقول :

« المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » .

ولقد بلينا معشر المسلمين بكثير من هؤلاء ، يعكرون صفو الأمة ويفرقون بين الجاعات ويورثون العداوة بين الأخ وأخيه والولد وأبيه .

ويدخلون إلى تصحيح مفاهيم الإسلام من باب العقوق ويسلكون في التمسك بآثار السلف سبيل الجحود ويستبدلون الحكمة والموعظة الحسنة والرافة والرحمة بالغلظة والجفوة وسوء الأدب وقلة الذوق . إن من الأدعياء أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى التصوف وهم أبعد الناس عن حقيقته وجوهره فشوهوا صورته ودنسوا كرامته وأفسدوا سيرته وجروا إليه وإلى آئسته من السادة العارفين والأساتذة المربين الانتقاد اللاذع .

إننا لا نعرف التصوف خرافات وأباطيل ودجلا وشعوذة .

إننا لا نعرف التصوف نظريات فلسفية أو أفكارا أجنبية أو عقائد شركية حلولية أو اتحادية .

إننا نبرأ إلى الله من هذا كله ونعتبر أن كل ما يخالف الكتاب والسنة ولا يقبل التأويل هو مكذوب دخيل وملصق بأيد آئمة ونفوس ضعيفة .

إننا نعرف التصوف مدارس علمية ومعارف فكرية وهي كلها بناهجها وبرامجها وطرقها تمثل الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية والوجه الأكمل لأدبنا ومثالياتنا ، تمثل الكمال في الإيمان والكمال في كل شأن من شؤون الحياة ، تمثل الخلاصة الزكية لكل دعوة ربانية إنه الصدق والأمانة والوفاء والإيثار والنجدة والكرم ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف والتعاون على

البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر والتسابق إلى فعل الخير ، تمثل  
الخلق القويم الصحيح .

وبهذه السيرة العطرة والخلق الزكى ظهرت بطولات الصدر الأول  
ورجاله وأئسته وأبطاله فبرزت لنا الشخصية الإسلامية في أبهى حلة وأكمل  
صفة وأعلى وأظهر نموذج ، وروى لنا عنها التاريخ حديث المجد والفخر  
والسيادة والعزة والجهاد والنضال ودروس الحضارة الإسلامية .

ومن هنا ندرك بيقين أن النهضات الكبرى لا تبنى إلا على رسالات  
الروح وإلهامات الإيمان ولا تقوم إلا على الأخلاق الصاعدة القوية التي  
تستمد مثلها من العقائد المقدسة .

إن الصفات الخلقية والنفسية والروحية هي رأس مال الشعوب وهي  
المدخرات العظيمة التي تصنع الأمم وتدفع بالركب البشري إلى غاياته  
العليا ، والناظر في سير السلف الصالحين والسادات العارفين من القوم يرى  
كيف أن هذه المثل والمبادئ ، كانت سبباً مباشراً لانتفاضات صريحة مشهودة  
مشهورة في التاريخ الإسلامي ، ولم يكن لهم من النبوذ والقوة إلا إيمان  
هو أعلى صور الإيمان ، إيمان حار متقدح يرتكز على الشوق والمحبة ،  
إنه إيمان يطلق في قلوب أتباعه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائماً إلى الله ،  
يزي أن الرجل منهم يعيش دائماً في مقام الإحسان يرى الله في كل شيء ،  
ويراقبه في كل حركة من حركاته ، بل يراقبه مع كل نفس من أنفاسه ،  
إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة في الحياة ، ويضفي عليها الإحساس العميق  
بالربانية السارية في الكون ، والتي تعيش في أعماقنا وتعلم خواطر القلب  
وهمسات النجوى وخائنة العيون وما تخفي الصدور .

\* \* \*

## بين نعمت البدعة وبئست البدعة

وإن من الأدعياء أولئك الذين يسبون أنفسهم إلى السلف الصالح فقاموا يدعون إلى السلفية في هجية جهلاء وعصية عبياء وبعقول عقيسة وأفهام سقيسة وصدور ضيقة تحارب كل جديد وتنكر كل مخترع مفيد بدعوى أنه بدعة وأن كل بدعة ضلالة دون التفريق بين أنواع البدعة مع أن روح الشريعة الإسلامية توجب علينا أن نميز بين أنواع البدعة وأن نقول : إن منها البدعة الحسنة ومنها البدعة السيئة وهذا ما يقتضيه العقل النير والنظر الثاقب .

وهذا ما حققه علماء الأصول من سلف هذه الأمة رضى الله عنهم كالامام العز بن عبد السلام والنووي والسيوطي والمحلّي وابن حجر .

والأحاديث النبوية يفسر بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا ، ولا بد من النظر إليها نظرة واحدة متكاملة ، ولا بد من تفسيرها بروح الشريعة ومفهومها المتفق عليه بين أهل النظر .

ولذا نجد كثيرا من الأحاديث الشريفة تحتاج في تفسيرها إلى عقل عاقل وفكر ثاقب وفهم لائق وقاب ذائق يستمد من بحر الشريعة الغراء ويراعى أحوال الأمة وحاجتها ويسايرها في حدود القواعد الشرعية والنصوص القرآنية النبوية التي لا يجوز الخروج عنها .

ومن أمثلة ذلك هذا الحديث : كل بدعة ضلالة - فلا بد من القول : أن المراد بذلك البدعة السيئة التي لا تدخل تحت أصل شرعي .

وهذا التقييد وارد في غير هذا الحديث كحديث :

« لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » ..

فهذا الحديث مع أنه يفيد الحصر في نفى صلاة جار المسجد إلا أن عمومات الأحاديث تفيد تقييده بأن لا صلاة كاملة .

وكحديث :

« لا صلاة بحضرة طعام » ..

قالوا : أى صلاة كاملة . وكحديث :

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ..

قالوا : أى إيماناً كاملاً .

وكحديث :

« والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » ..

قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لم يأمن جاره بوائقه .

وكحديث :

« لا يدخل الجنة قتات » .. « ولا يدخل الجنة قاطع رحم » ..

« وعاق لوالديه » ..

فالعلاء قالوا : إنه لا يدخل دخولا أوليا أو لا يدخل إذا كان مستحلاً

لذلك الفعل .

الحاصل أنهم لم يجروه على ظاهره وإنما أولوه بأنواع التأويل .

وحديث البدعة هذا من هذا الباب فمسومات الأحاديث وأحوال الصحابة  
نريد أن المقصود به البدعة السيئة التي لا تدرج تحت أصل كلى ، وفي  
الحديث :

« من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عدل بها الى يوم القيامة .

وفي الحديث :

« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين » ..

ويقول عسر في صلاة التراويح : نعت البدعة هذه ، « لا صلاة الا لله »

هذا وبالله التوفيق ..

\* \* \*

## دعوة أئمة التصوف الى العمل بالشرية

التصوف ذلك المظلوم المتهم قليل من ينصفه بل بلغت الجراءة والوقاحة ببعضهم إنه جعله من صفات الذم والمدح التي تسقط بها الشهادة وتزول بها العدالة فيقول فلان ليس بثقة ولا يقبل خبره لماذا؟

لأنه صوفي ولذا أحببت أن أنقل كلام آئمة الدين الذين هم أركان التصوف ورجاله . أردت أن أنقل كلامهم عن الشريعة الإسلامية لتعرف موقفهم الحقيقي لأن الواجب أن نعرف الشخص عن الشخص نفسه فالإنسان هو خير من يتحدث عن رأيه وأوثق من يظهر ما يضر .

قال الامام الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من افتقى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . وعلى المقتفين أثره والمتابعين .

وجاء أن أبا يزيد البستاني قدس سره قال ذات يوم لأصحابه قوموا بنا حتى نلظر إلى ذلك الذى قد شهر نفسه بالولاية قال : فضينا فإذا بالرجل قد قصد المسجد فرمى بزافه نحو السبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه . وقال : هذا ليس بسامون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين .

قال ذو النون المصرى : مدار الكلام أربع : حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل . من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنته .

قال السرى السقطى : التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذى لا يطنىء نور معرفته نور ورعه . ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة . ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله .

قال أبو نصر بشر بن الحارث الحافى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى : يا بشر ، أتدرى لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت :

لا يارسول الله قال : باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك  
لاخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي - هو الذي بلغك منازل الأبرار .

قال أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي : لقد همت أن أسأل الله  
تعالى أن يكتفيني مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ، ثم قلت . كيف يجوز لي أن  
أسأل الله هذا ، ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ، فلم أسأله .  
ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة  
أو حائط . وقال أيضا : لو نظرتهم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتقى في  
الهواء ، فلا تغفروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ  
الحدود ، وأداء الشريعة .

قال سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني ربما يقع في قلبى النكتة  
من نكت القوم أياما ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عادلين : الكتاب . والسنة  
وقوله : منه أى من قلبى .

قال أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري : من عمل عملا بلا اتباع  
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فباطل .

قال أبو حفص عمر بن سلمة الحداد : من لم يزن . أفعاله في كل وقت  
بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده في ديوان الرجال .

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب  
الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال أيضا : مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة ، علمنا هذا  
مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى : ولما تغير على أبى عثمان  
الحال مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه ، وقال :  
السنة يا بنى فى الظاهر علامة كمال فى الباطن .

وقال أيضا : الصحبة مع الله بحسن الأدب ، ودوام الهيبة وانصبة مع  
الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع  
أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة .

والصحبة مع الأهل ، بحسن الخلق - والصحبة مع الإخوان ، بدوام  
البشر ما لم يكن إثماً - والصحبة مع الجهال بالبدعاء والرحمة عليهم .

قال أيضا : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن  
أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة . قال تعالى : « وان تطيعوه  
تهتدوا » .

قال أبو الحسن بن أحمد بن محمد النووي : من رأته يدعى مع الله  
حالة تخرجه عن حدّ العلم الشرعي فلا تقربن منه .

قال أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى : من غض بصره عن المحارم ،  
وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره بانباع  
السنة ، وعود نفسه أكل الحلال لم يخطيء له فراسته .

قال أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى :

من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ، وأعطى به مقام  
متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه .

وقال أيضا : كل ما سئت عنه فاطلبه في مفازة العلم ، فإن لم تجده ،  
ففى ميدان الحكمة فإن لم تجده فزنه بالله حيد فإن لم تجده فى هذه المواضع  
الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان .

قال أبو حمزة البغدادي البزاز : من علم طريق الحق تعالى سهل عليه  
سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله  
عليه وسلم ، فى أحواله ، وأفعاله ، وأقواله .

قال أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقى : علامة محبة الله ، إيثار طاعته  
ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال مشاد الدينورى : أدب المرید فى التزام حرمان المشايخ ، وخدمة  
الإخوان ، والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه .

قال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيع أحد فريضة من الفرائض  
إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ، ولم يبيل أحد بتضييع السنن إلا أوشك  
أن يتلى بالبدع .



## حقيقة الأشاعرة

يجهل كثير من أبناء المسلمين مذهب الأشاعرة ولا يعرفون من هم الأشاعرة ولا طريقتهم في أمر العقيدة .. ولا يتورع البعض أن ينسبهم إلى الضلال أو يرميهم بالمروق من الدين والإلحاد في صفات الله .

وهذا الجهل بمذهب الأشاعرة سبب لسرق وحدة [ أهل السنة ] وشتت شملهم حتى غدا البعض يسلك [ الأشاعرة ] ضمن طوائف أهل الضلال ، ولست أدري كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل الضلال ؟ وكيف يساوي بين أهل السنة وبين غلاة المعتزلة وهم الجهمية ؟ أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ؟ ..

الأشاعرة : هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين .. الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها وأطبق الناس على فضلهم وعلمهم ودينهم هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائها الأفاضل الذين وقفوا في طغيان المعتزلة .

هم الذين قال عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية [ والعلماء أنصار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين ] الفتاوى الجزء الرابع .

إنهم طوائف المحدثين والفقهاء والمفسرين من الأئمة الأعلام شيخ الإسلام [ أحمد بن حنبل ] العسقلاني [ شيخ المحدثين بلا مرأء صاحب كتاب [ فتح الباري على شرح البخاري ] أشعري المذهب وكتابه لا يستغنى عنه أحد من العلماء .

وشيخ علماء أهل السنة [ الإمام النووي ] صاحب شرح صحيح مسلم .  
وصاحب المصنفات الشهيرة أشعري المذهب .

وشيخ المفسرين الإمام القرطبي صاحب تفسير [ الجامع لأحكام القرآن ] أشعري المذهب .

وشيخ الاسلام [ ابن حجر الهيتمي ] صاحب كتاب ( الزواجر عن اقتراف الكبائر ) أشعري المذهب .

وشيخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت [ زكريا الأنصاري ] أشعري  
المذهب .

والإمام [ أبو بكر الباقلاني ] والإمام العسقلاني والإمام النسفي  
والإمام الشرييني ، وأبو حيان التوحيدى صاحب تفسير [ البحر المحيط ]  
والإمام ابن جزى صاحب ( التسهيل فى علوم التنزيل ) الخ .. كل هؤلاء  
من أئمة الأشاعرة .

ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء ، من  
أئمة الأشاعرة لضاق بنا الحال واحتجنا إلى مجلدات فى سرد أولئك العلماء  
الأفاضل الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها .. ان من الواجب أن نرد  
الجميل لأصحابه وأن نعرف الفضل لأهل العلم والفضل الذين خدموا شريعة  
سيد المرسلين من العلماء الأعلام .

وأى خير يرجى فينا إن رمينا علماءنا الأعلام وأسلافنا الصالحين بالزيف  
والضلال ؟

وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيها الإنحراف  
والزيف عن طريق الإسلام .

إننى أقول : هل يوجد بين علماء العصر من [ الدكاترة ] والعباقرة  
من يقوم بما قام به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي ، من  
خدمة السنة النبوية المطهرة كما فعل هذان الإمامان الجليلان نعمدهما الله  
بالرحمة والرضوان ؟ فكيف نرميهما - وسائر الأشاعرة - بالضلالة ونحن  
بحاجة إلى علوم هؤلاء ؟

وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا على ضلال وقد قال الإمام الزهري  
رحمه الله : [ إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ] .

أفما كان يكفى أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطأوا  
فى تأويل الصفات وكان الأولى أن لا يسلكوا هذا المسلك بدل أن نرميهم  
بالزيف والضلال ونغضب على من عداهم من أهل السنة والجماعة ؟

وإذا لم يكن الإمام النووي والعسقلاني والقرطبي والباقلاني والفخر  
الرازي والهيتمي وزكريا الأنصاري وغيرهم من جهاذة العلماء ، وفضائل  
النبغاء إذا لم يكونوا من أهل السنة والجماعة فمن هم أهل السنة إذن ؟

إنتى أدعو مخلصا كل الدعوة وكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية  
أن يتقوا الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبخاصة في أجلة علمائها  
وأخيار فقهاءها فامة محمد بخير إلى قيام الساعة ولا خير فينا إذا لم نعرف  
لعلمائنا قدرهم وفضلهم .

\* \* \*

## حقائق تموت بالبحث

يجرى البحث بين العلماء في حقائق كثيرة من مسائل العقيدة مما لم يكلفنا به الله تعالى ، وأنا أرى أن ذلك البحث يذهب بهاء تلك الحقائق وجلالها وذلك مثلاً كاختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله سبحانه وتعالى كيف كانت والخلاف الطويل العريض الدائر بينهم في ذلك الباب فمن قائل رآه بقلبه ومن قائل رآه بعينه وكل يورد دليلاً ويستنصر له بما لا طائل تحته . والذي أراه أن كل ذلك عبث لا فائدة فيه بل ضرره أكبر من نفعه خصوصاً إذا سمع هذا العوام فإنه يدخل التشكيك في قلوبهم لا محالة ولو أننا ألغينا البحث عن هذا واكتفينا بإيراد هذه الحقيقة كما جاءت لبقيت مكرمة معظمة في النفوس بأن نقول إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه وتقتصر على هذه الحقيقة وتترك الباقي له هو .

### وكلم الله موسى تكليماً :

ومن ذلك أيضاً ما يجري بين العلماء من البحث في حقيقة كلام الله تعالى والخلاف الكبير الدائر في هذا الباب فمن قائل إن كلامه سبحانه وتعالى كلام نسي ومن قائل إن كلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت وأنا أعتقد أن كلا الطرفين يطلب حقيقة التنزيه لله سبحانه وتعالى ويبعد عن الشرك بكل أنواعه .

ومسألة الكلام حقيقة ثابتة لا مجال لإنتكارها إذ هو ينافي الكمال الإلهي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن صفاته سبحانه وتعالى الواردة في القرآن يجب الإيمان بها وإثباتها لأنه لا يعرف الله إلا الله .

والذي أراه وأدعو إليه هو إثبات هذه الحقيقة دون الغوص في كيفيةها وشكلها فنثبت لله سبحانه وتعالى الكلام ونقول هذا كلام الله ونقول إنه سبحانه وتعالى متكلم ونصرف النظر عما بعد ذلك من الباطل من كونه كلاماً نفسياً وغير نسي بحرف وصوت أو بلا حرف ولا صوت وكل هذا تنطع لم يتكلم فيه الذي جاء بالتوحيد وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم

فلم الزيادة على ما جاء به ؟ أليس هذا من أقبح البدع ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

هو صلى الله عليه وسلم يحدثنا عنه يوم نجتمع به عند الله سبحانه وتعالى . نحن ندعو إلى أن يكون حديثنا دائما عن هذه الحقيقة وأمثالها مجردا عن الغوص في كفياتها وصورها وأشكالها .

### انى اراكم من خلفى :

ومن ذلك أيضا ما يجرى بين العلماء من البحث في حقيقة توله صلى الله عليه وسلم : [ إنى اراكم من خلفى كما اراكم من أمامى ] فمن قائل إن الله تعالى يجعل لنبىه صلى الله عليه وسلم عينين من الخلف ، ومن قائل إن الله سبحانه وتعالى يجعل لعينيه الأماميتين قوة تفاذة ترى بها ما خلفهما ومن قائل إن الله سبحانه وتعالى يعكس له صلى الله عليه وسلم ما خلفه حتى تكون صورته أمامه بين عينيه وكل هذا تتطع يخرج هذه الحقيقة عن جمالها ورونقها ويضعف هيبتها وجلالها فى القلوب .

أما كونه صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه فهى حقيقة ثابتة أخبر بها بنفسه فيما صح عنه فلا مجال لانكارها ولكن الذى ندعو إليه ونراه هو أن ثبت هذه الحقيقة هكذا مجردة كما وردت دون الدخول فى كفياتها وشكلها يجب علينا أن نعتقد إمكان ذلك وشرته بأن نشهد بخارق من الخوارق التى نضمحل عندها الأسباب وتتلاشى لتظهر فطرة الواحد القهار ومنقبة النبى المختار صلى الله عليه وسلم .

### جبريل يتمثل رجلا :

ومن ذلك أيضا اختلاف العلماء فى كيفية تشكل جبريل عليه السلام إذا جاء بالوحى على صورة رجل مع هول خلقه . فمن قائل إن الله يفتى الزائد من خلقه ومن قائل انه ينضم بعضه إلى بعض حتى يصير صغيرا . والذى أراه أن كل ذلك عبث ، وأن البحث فيه تعب لا فائدة منه فنحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى قادر على ذلك وأن هذا واقع ومشاهد فقد رآه كثير من الصحابة على تلك الصورة ونحن لا يرسنا معرفة الطريقة التى يتم بها تشل الملك بصورة رجل وندعو إخواننا من طلاب العلم إلى إيراد هذه الحقيقة دون التعرض لما وراءها من خلافات لتبقى جلية عظيمة فى النفوس .

## مفهوم التوسل

يخطئ كثير من الناس في فهم حقيقة التوسل ولذا فإننا سنبين مفهوم التوسل الصحيح في نظرنا وقبل ذلك لا بد أن نبين هذه الحقائق :

**أولاً :**

إن التوسل هو أحد طرق الدعاء وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالى فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك .

**ثانياً :**

أن المتوسل ما توسل بهذه الوسطة إلا لمحبة لها وإعتقاده أن الله سبحانه وتعالى يحبها ، ولو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد الناس عنها وأشد الناس كراهة لها .

**ثالثاً :**

أن المتوسل لو اعتقد أن من توسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك .

**رابعاً :**

أن التوسل ليس أمراً لازماً أو ضرورياً وليست الإجابة متوقعة عليه بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقاً كما قال تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » وكما قال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » .

\* \* \*

## المتفق عليه من التوسل

لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة ، فمن صام أو صلى أو قرأ القرآن أو تصدق فإنه يتوسل

بصيامه وصلاته وقراءته وصدقته بل هو أرجى في القبول وأعظم في نيل المطلوب لا يختلف في ذلك اثنان . والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فتوسل أحدهم إلى الله بیره لوالديه ، وتوسل الثاني بابتعاده عن الفاحشة بعد تمكنه من أسبابها ، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لمال غيره وأدائه له كاملاً وفرج الله عنهم ما هم فيه ، وهذا النوع من التوسل قد فصله وبين أدلته وحقق مسأله الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتبه وخصوصاً في رسالته ( قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ) .

### محل الخلاف :

ومحل الخلاف في مسألة التوسل هو التوسل بغير عمل المتوسل . كالتوسل بالذوات والأشخاص بأن يقول : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو أتوسل إليك بأبي بكر الصديق أو بعمر ابن الخطاب أو بعثمان أو بعلي رضي الله عنهم . فهذا هو المنوع عند بعضهم .

ونحن نرى أن الخلاف شكلي وليس بجوهري . لأن التوسل بالذات يرجع في الحقيقة إلى توسل الإنسان بعسله وهو المتفق على جوازه . ولو نظر المانع المتعنت في المسألة بعين البصيرة لانجلي له الأمر وانحل الإشكال وزالت الفتنة التي وقع بسببها من وقع فحكم على المسلمين بانسرك والضلال .

وسأبين كيف أن المتوسل بغيره هو في الحقيقة متوسل بعسله المنسوب إليه والذي هو من كسبه .

فأقول : أعلم أن من توسل بشخص ما فهو لأنه يجب إذ يعتقد صلاحه وولايته وفضله تحسينا للظن به ، أو لأنه يعتقد أن هذا الشخص محب لله سبحانه وتعالى يجاهد في سبيله . أو لأنه يعتقد ان الله تعالى يجب كما قال تعالى : ( يحبهم ويحبونه ) ، أو لاعتقاد هذه الأمور كلها في الشخص المتوسل به .

وإذا تدبرت الأمر وجدت أن هذه المحبة وذلك الاعتقاد من عمل المتوسل لأنه اعتقاده الذي انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه ومسئول عنه ومثاب

عليه ، وكأنه يقول : يارب إني أحب فلانا وأعتقد أنه يحبك وهو مخلص لك  
ويجاهد في سبيلك . واعتقد أنك تحبه وأنت راض عنه فأتوسل إليك بمحبتى  
له وباعتقادي فيه أن تفعل كذا كذا . ولكن أكثر المتوسلين يتسامحون في  
التصريح بهذا الأمر مكتفين بعلم من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في  
السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور

فمن قال : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك هو ومن قال : اللهم إني أتوسل  
إليك بمحبتى لنبيك - سواء . لأن الأول ما أقدم على هذا إلا لمحبتة  
وإيمانه بنبيه . ولولا المحبة له والإيمان به ما توسل به . وهكذا يقال في  
حق غيره من أولياء الأمة .

وبهذا ظهر أن الخلاف في الحقيقة شكلي ولا يقتضى هذا التفرق  
والعداء بالحكم بالكفر على المتوسلين وإخراجهم عن دائرة الإسلام  
( سبحانه هذا بهتان عظيم ) .

\* \* \*

## أدلة ما عليه المسلمون من التوسل

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة »  
والوسيلة : كل ما جعله الله سببا في الزلفى عنده ووصلة إلى قضاء الحوائج  
منه والمدار فيها على أن يكون للوسيلة قدر وحرمة عند المتوسل إليه .

ولفظ الوسيلة عام في الآية كما ترى فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة  
من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات وبالإتيان بالأعمال الصالحة على  
الوجه المأمور به وللتوسل بها بعد وقوعها .

وفيما ستسمع من الأحاديث والآثار ما يجلى لك هذا العموم واضحا  
فألق السمع وأنت شهيد لترى أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم  
قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث  
في عرصات القيامة .

\* \* \*

## التوسل بالنبي ﷺ قبل وجوده

توسل آدم به :

وقد جاء في الحديث أن آدم توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم . قال الحاكم في المستدرک : حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى حدثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن جده عن عمر - رضى الله عنه - قال :

« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ ، اسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ مَا غَفَرْتَ لِي . فَقَالَ اللَّهُ : يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، لِأَنَّكَ مَا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِي مَنْ رُوْحَكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَ عَلَى قِوَامِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَصِفْ إِلَيَّ إِلَّا اسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللَّهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ، أَدْعُنِي بِحَقِّهِ فَلَمَّا غَفَرْتَ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَنِي . »

أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه [ ج ٢ ص ٦٥١ ] ورواه الحافظ السيوطى في الخصائص النبوية وصححه . ورواه البيهقى في دلائل النبوة وهو لا يروى الموضوعات ، كما صرح بذلك في مقدمة كتابه وصححه أيضا القسطلانى والزرقانى في المواهب اللدنية [ ج ٢ ص ٦٢ ] والسبكى في شفاء السقام ، قال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى في الأوسط وفيه من لم أعرفهم ( مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٥٣ ) .

وجاء من طريق آخر عن ابن عباس بلفظ : فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . رواه الحاكم في المستدرک ( ج ٢ ص ٦٥١ ) وقال : صحيح الاسناد . وصححه شيخ الاسلام البلقينى في فتاويه . ورواه أيضا الشيخ ابن الجوزى في الوفا في أول كتابه ونقله ابن كثير في البداية ( ج ١ ص ١٨٠ ) .

وقد خالف في ذلك بعض العلماء فتكلم في درجة الحديث ورده وحكم بوضعه كالذهبي وغيره ، وبعضهم حكم بضعفه ، وبعضهم حكم ببنكارته - وبهذا يظهر أنه لم تتفق كلمتهم على حكم واحد . وعليه فالمسألة

يدور البحث فيها بين الإثبات والنفي والرد والقبول والتوقف بناء على اختلافهم في درجة الحديث . وهذا من ناحية السند وثبوت الحديث . أما من ناحية المعنى فلنترك المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية ليحدثنا عنه .

\*\*\*

## رأى ابن تيمية في الحديث

روى ابن تيمية حديثين في هذا الموضوع وأوردهما مستشهدا بهما فقال : روى أبو الفرج ابن الجوزي بسنده إلى مسرة قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :

« لما خلق الله الأرض واستوى الى السماء فسواهن سبع سماوات ، وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التي اسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الابواب والاوراق والقباب والخيام ، وادم بين الروح والجسد ، فلما احياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمى فأخبره الله انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه » .

وروى أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة ومن طريق الشيخ أبي الفرج حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشيد حدثنا أحمد ابن سعيد الفهرى حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لما اصاب آدم الخطيئة رفع راسه فقال : يا رب ، بحق محمد الا غفرت لى فأرحى اليه وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يارب انك لما اتممت خلقى رفعت راسى الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لا اله الا الله محمد رسول الله ، لعلمت انه اكرم خلقك عليك اذ قرنت اسمه مع اسمك فقال : نعم ، قد غفرت لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك » .

فهذا الحديث يؤيد الذى قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة [ اه من الفتاوى ج ٢ ص ١٥٠ ] .

قلت : فهذا يدل على أن الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين وأنت ترى ان الشيخ استشهد به هنا على التفسير .

\*\*\*

## تصحيح ابن تيمية لمعنى هذه الخصوصية

تكلم الشيخ ابن تيمية عن هذه المسألة كلاماً جيداً نفيساً يدل على عقل وبصيرة واتزان كبير ، فهو وإن كان قد نفى وجود حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى [ وهذا حسب علمه في ذلك الوقت ] إلا أنه رجع فأيد المعنى وفسره تفسيراً معقولاً وأثبت فيه صحة القول وهو بهذا يرد رداً واضحاً على من زعم أن ذلك شرك أو كفر وعلى من زعم أن المعنى فاسد وباطل وعلى من زعم أن فيه قدحاً في مقام التوحيد والتنزيه وما هو إلا الهوى والعمى وسوء الفهم وضيق العقل فالله ينور بصائرنا ويرشدنا إلى الحق والصواب وهو الهادي إلى سواء السبيل .

قال الشيخ الإمام ابن تيمية في الفتاوى ( ج ١١ ص ٩٦ ) .

ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه ومن هنا قال من قل : إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً ولا كرسيًا ولا سماء ولا أرضاً ولا شمساً ولا قرناً ، لكن ليس هذا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيحاً ولا ضعيفاً ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدري قائله ويسكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله تعالى : « سخر لكم ما في السموات وما في الأرض » وقوله تعالى : « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ، ومعلوم أنه لله فيها حكماً عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك ، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم من النعمة .

فإذا قيل : فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضى أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة ، بل يقتضى إذا كان أفضل صالحى بنى آدم محمد وكانت خلقتة غاية مطلوبة وحكمة بالغة مقصودة [ أعظم ] من غيره صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل بمحمد صلى الله عليه وسلم . ( اهـ من الفتاوى ) .

\* \* \*

**الجنة حرام على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ :**

ومن أمثال هذا التفضل الإلهي على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في الحديث من كون الجنة حراما على الأنبياء حتى يدخلها نبيا صلى الله عليه وسلم . عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الجنة حرمت على الأنبياء وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي » . .

( رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي إسناده حسن ) . . [ مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٩ ] .

**ارتباط الكون باسمه ﷺ :**

ومن أمثال هذا التفضل الإلهي ما جاء في الآثار من انتشار اسمه محمد في الملأ الأعلى قال كعب الأحبار : إن الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أبني أنت خليفتي من بعدى فخذها معسرة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإني رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ثم إنى طفت السماوات فلم أر في السماوات موصعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه وإن ربي أسكننى الجنة فلم أر في الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثروا ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها . ١ هـ ( المواهب اللدنية ج ١ ص ١٨٦ ) .

قال الزرقانى في شرحه رواد ابن عساكر .

قلت : وقد ذكر نحو هذا الخبر الشيخ ابن تيمية فقال : وقد روى أن الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق وروى في ذلك عدة آثار توافق هذه الأحاديث الثابتة التى تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ .

وفي رواية لابن الجوزى عن مسرة قال ، قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :

« لما خلق الله الأرض واستوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي اسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الابواب والأوراق والقباب والخيام وادم بين الروح والجسد فلما احياه الله تعالى . نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه » .

اهـ ( الفتاوى ج ٢ ص ١٥٠ ) .

**فوائد مهمة من حديث توسل آدم :**

وفي الحديث التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه وأن المدار في صحة التوسل على أن يكون للتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل وأنه لا يشترط كونه حيا في دار الدنيا .  
ومنه يعلم أن القول بأن التوسل لا يصح بأحد إلا وقت حياته في دار الدنيا قول من اتبع هواه بغير هدى من الله .

**حاصل البحث في درجة الحديث :**

والحاصل أن هذا الحديث صححه ونقله جماعة من فحول العلماء وأئمة الحديث وحفاظه الذين لهم مقامهم المعروف ومكاتبهم العالية وهم الأئمة على السنة النبوية فمنهم الحاكم والسيوطي والسبكي والبلقيني .  
ونقله البيهقي في كتابه الذي شرط فيه أن لا يخرج الموضوعات والذي قال فيه الذهبي : عليك به فإنه كله هدى ونور . [ كذا في شرح المواهب وغيره ]  
وذكره ابن كثير في البداية واستشهد به ابن تيمية في الفتاوى . وكون العلماء اختلفوا فيه فردده بعضهم وقبله البعض ليس بغريب لأن كثيرا من الأحاديث النبوية جرى فيها الخلاف ، وأكثر من هذا وانتقدها النقاد بأعظم من هذا .

وبسبب ذلك ظهرت هذه المؤلفات العظيمة ، وفيها الاستدلالات والتعقبات والمراجعات والمؤاخذات ولم يصل ذلك إلى الرمي بالشرك والكفر والضلال والخروج عن دائرة الإيمان لأجل الاختلافات في درجة حديث من الأحاديث ، وهذا الحديث من جملة تلك الأحاديث .

\*\*\*

## توسل اليهود به ﷺ

قال تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

قال القرطبي : قوله تعالى : ولما جاءهم - يعنى اليهود - كتاب - يعنى القرآن - من عند الله مصدق - نعت لكتاب ويجوز فى غير القرآن نصبه على الحال وكذلك هو فى مصحف أبى بالنصب فيما روى - لما معهم - يعنى التوراة والانجيل يخبرهم بما فيها وكانوا من قبل يستفتحون ، أى يستتصرون والاستفتاح : الاستتصار استفتحت استتصرت وفى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين أى يستتصرون بدعائهم وصلاتهم ومنه .

فعى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، والنصر فتح شىء معلق فهو يرجع إلى قولهم : فتحت الباب .

وروى النسائى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« انما نصر الله هذه الأمة بضائفها بدعوتهم وصلاتهم واخلاصهم » .

وروى النسائى أيضا عن أبى البرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ابغونى الضعيف فانكم انما تنصرون وترزقون بضعفاتكم » .

قال ابن عباس : كانت يهود حبير تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود فادعت يهود بهذا الدعاء ، وقالوا إنا نسألك بحق النبى الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان أن تنصرنا عليهم ، قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا ، فأنزل الله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » أى بك يا محمد إلى قوله : « فلعنة الله على الكافرين » تفسير القرطبي ( ج ٢ ص ٢٦ و ٢٧ ) .

\* \* \*

## التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته

عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال : يا رسول الله ليس لى قائد وقد شق على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ائت الميضاة فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسالك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فيجلى لى عن بصرى اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر » . . .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

وقال الذهبى عن الحديث انه صحيح ( ج ١ ص ٥١٩ ) .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

من حديث أبى جعفر وهو غير الخطسى .

ذكره فى آخر السنن فى أبواب الدعوات .

قال المنذرى ورواه أيضاً النسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ( كذا فى الترغيب كتاب النوافل باب الترغيب فى صلاة الحاجة ) ( ج ١ ص ٤٣٨ ) .

وليس هذا خاصاً بحياته صلى الله عليه وسلم بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد روى الطبرانى فى هذا الحديث وذكر فى أوله قصة وهى أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له وكان عثمان رضى الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته فلحقى الرجل عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضاة فتوضاً ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل :

اللهم انى اسالك واتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي  
الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربك فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ..

فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم اتى باب عثمان فجاء البواب حتى  
أخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الليفة وقال : ما حاجتك ؟  
فذكر حاجته فقضاها له ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة  
ثم قال ما كانت لك حاجة فائتنا ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان  
ابن حنيف وقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى  
حتى كلفته فى فقال عثمان بن حنيف . والله ما كلفته ولكن شهدت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له  
النبي صلى الله عليه وسلم :

او تصبر ؟ فقال : يا رسول الله ليس لى فائد وقد شق على فقال له النبي :  
« انت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال عثمان  
ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه  
لم يكن به ضر قط » ..

قال المنذرى رواه الطبرانى وقال بعد ذكره والحديث صحيح ( كذا فى  
الترغيب [ ج ١ ص ٤٤٠ وكذا فى مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧٩ ] .

وقال الشيخ ابن تيمية قال الطبرانى روى هذا الحديث شعبه عن أبى  
جعفر واسمه عمر بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر عن شعبه قال  
أبو عبد الله المقدسى والحديث صحيح .

قلت قال الشيخ ابن تيمية ذكر تفرد به بمبلغ علمه ولم يبلغه رواية روح  
ابن عباد عن شعبه وذلك اسناد صحيح يبين أنه لم يفرد به عثمان بن عمر  
( ا هـ . التوسل والوسيلة ص ١٠١ ) .

وبهذا ظهر أن هذه القصة صححها الحافظ الطبرانى والحافظ أبو عبد الله  
المقدسى ونقل ذلك التصحيح الحافظ المنذرى والحافظ نور الدين الهيثمى  
والشيخ ابن تيمية .

وحاصل القصة أن عثمان بن حنيف الراوى للحديث المشاهد للقصة

علم من شكاً إليه إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدعاء الذي فيه  
التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والنداء له مستغيثاً به بعد وفاته صلى الله  
عليه وسلم ولما ظن الرجل أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة -  
بأدر ابن حنيف بنفى ذلك الظن وحدثه بالحديث الذي سعه وشهده ليثبت  
له أن حاجته انما قضيت بتوسله به صلى الله عليه وسلم وندائه له واستغاثته  
به ، وأكد ذلك له بالحلف انه ما كلم الخليفة في شأنه .



### التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات يوم القيامة

أما التوسل به في عرصات يوم القيامة فلا حاجة للاطالة فيه فإن أحاديث  
الشفاعة بلغت مبلغ التواتر وكل ذلك فيه النصوص الصريحة التي تفيد بأن  
أهل الموقف إذا طال عليه الوقوف واشتد الكرب استغاثوا في تفريج كربتهم  
بالأنبياء فيستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بسوسى ثم بعمسى فيحيلهم  
على سيد المرسلين حتى اذا استغاثوا به صلى الله عليه وسلم . سارع  
إلى إغااثهم وأسعف طلبتهم وقال أنالها أنالها ثم يخر ساجدا ولا يزال كذلك  
حتى ينادى أن ارفع رأسك واشفع تشفع .

فهذا إجماع من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين وتقرير من رب  
العالمين بأن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج  
ومن موجبات رضى رب العالمين .



## مشروعية التوسل على طريقة الشيخ ابن تيمية

يقول الشيخ ابن تيمية في كتابه [ قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ] عند الكلام على قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » فابتغاء الوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بسبحه وإتباعه ، وهذا التوسل بالإيمان به وبطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنا وظاهرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته في مشهده ومغيبه لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجّة عليه ولا بعذر من الأعذار ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا بالتوسل به وبطاعته وهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق .

صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فهو أعظم الشفعاء قدرا وأعلاهم جاها عند الله ، وقال تعالى عن موسى [ وكان عند الله وجيها ] وقال عن المسيح « وجيها في الدنيا والآخرة » ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاها من الأنبياء والمرسلين ، ولكن شفاعته ودعاؤه إنما ينتفع به من شفّع له الرسول ودعا له فمن دعا له الرسول وشفّع له توسل إلى الله بشفاعته ودعاؤه كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعاؤه وشفاعته وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تعالى بدعاؤه وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .

وفي الفتاوى الكبرى سئل شيخ الإسلام رحمه الله هل يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فأجاب : الحمد لله أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعاؤه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين [ الفتاوى الكبرى ج ١ ص ١٤٠ ] .

قلت : فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية أمران :

الأول :

أن المسلم المطيع المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتبع له

المصدق بشفاعته يشرع له أن يتوسل بطاعته ومحبته وتصديقه ذلك . وإنما إذا توسلنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فالله يشهد أننا إنما نتوسل بالإيمان به وبسببته وبتمضيه وشرفه فهذا هو المقصود الأصلي من التوسل ولا يتصور أن يتوسل أحد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لغير هذا المعنى ولا يمكن أن يكون سوى ذلك من جميع المسلمين المتوسلين . غير أن المتوسل قد يصرح به وقد لا يصرح اعتماداً على المقصود الأصلي من التوسل الذي هو الإيمان بالنبي ومحبته صلى الله عليه وآله وسلم لا غير .

### الثاني :

مما يستفاد من كلام الشيخ ابن تيسية أن من دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم صح له أن يتوسل إلى الله بدعائه صلى الله عليه وسلم له وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قد دعا لأُمَّته كما ثبت ذلك في أحاديث كثيرة .

منها : عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب النفس . قلت يا رسول الله أدع الله لى فقال :

« اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما اسرت وما اعلنت فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال لها رسول الله ﷺ اسرك دعائى فعالت : وما لى لا يسرنى دعاؤك . فقال ﷺ : انها لدعائى لأمتى فى كل صلاة » .

رواه البزار ورجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادى وهو ثقة ( كذا فى مجمع الزوائد ) لذا فإنه يصح لكل مسلم أن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك فيقول اللهم ان نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم قد دعا لأُمَّته وأنا من أفراد هذه الأمة فأتوسل إليك بهذا الدعاء أن تغفر لى وان ترحمنى إلى آخر ما يريد فإذا قال ذلك لم يخرج عن الأمر المتفق عليه بين كافة علماء المسلمين فإن قال : اللهم انى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فقد فاتته التصريح بما ينويه وبيان ما ينعقد عليه قلبه وهو مقصود كل مسلم ومراده لا يخرج عن هذا الحد لأن المتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يقصد بذلك إلا تلك المعانى المتعلقة بذاته صلى الله عليه وسلم من محبة وقربة وجاه ورتبة وفضل ودعاء وشفاعة . خصوصاً وأنه صلى الله

عليه وسلم في برزخه يسمع الصلاة والسلام ويرد على ذلك بما يليق ويناسب  
من سلام وإستغفار لما قد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض أعمالكم  
عليّ فان وجدت خيراً حمدت الله وان وجدت شراً استغفرت الله لكم » ..

رواه الحافظ إسماعيل القاضي في جزء الصلاة على النبي صلى الله عليه  
وسلم . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وصححه .

وهذا صريح بأنه صلى الله عليه وسلم يستغفر للأمة في برزخه والاستغفار  
دعاء والأمة تنتفع بذلك .

وجاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من احد يسلم على الا رد الله على روعي حتى ارد السلام » ..

رواه أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال النووي إسناده  
صحيح .

فهذا صريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم يرد السلام على المسلم  
والسلام هو الأمان فهو دعاء بالأمان للمسلم وهو ينتفع بذلك .

\* \* \*

## مشروعية التوسل بالنبي ﷺ خاصة عند الامام

احمد بن حنبل وابن تيمية

على أن الشيخ ابن تيمية في بعض المواضع من كتبه أثبت جواز التوسل  
بالنبي صلى الله عليه وسلم دون تفريق أو تفصيل بين حياته وموته وحضوره  
وغيبابه . ونقل عن الإمام أحمد والعز بن عبد السلام جواز ذلك في الفتاوى  
الكبرى .

قال الشيخ وكذلك مما يشرع التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء  
كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه :

« ان النبي ﷺ علم شخصا ان يقول اللهم انى اسالك واتوسل اليك  
بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربك فيجلى  
حاجتى ليقضيها فشفعه فى .. »

فهذا التوسل به حسن .

اهـ ( الفتاوى ج ٣ ص ٢٧٦ )

وقال أيضاً : والتوسل إلى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء  
سمى استغاثة أو لم يسم لا نعلم أحداً من السلف فعله ولا روى فيه أثارا  
ولا نعلم فيه إلا ما أفتى به الشيخ من المنع ، وأما التوسل بالنبي صلى الله  
عليه وسلم ففيه حديث فى السنن ، رواه النسائى والترمذى وغيرهما : ان  
أعرايبا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى أصبت فى بصرى  
فادع الله لى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« توحى وصل ركعتين ثم قل اللهم اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد  
يا محمد انى أتشفع بك فى رد بصرى اللهم شفّع نبيك فى وقال فان كانت لك  
حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره .. »

فلاجل هذا الحديث استثنى الشيخ التوسل به .

اهـ ( الفتاوى ج ١ ص ١٠٥ )

وقال الشيخ ابن تيمية أيضا فى موضع آخر :

ولذلك قال أحمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى صاحبه : أنه يتوسل  
بالنبي صلى الله عليه وسلم فى دعائه ، ولكن غير أحمد قال : إن هذا إقسام  
على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق ، وأحمد فى احدى الروايتين قد جوز  
القسام به ، فلذلك جوز التوسل به .

( ج ١ ص ١٤٠ من الفتاوى )

\*\*\*

## جواز التوسل عند الامام الشوكاني

قال الإمام المحدث السلفي الشيخ محمد بن علي الشوكاني في رسالته ( الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ) اما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلب العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه . ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه ابن ماجه وغيرهم أن أعي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ، قال وللناس في معنى هذا قولان أحدهما ان التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل بيننا إليك فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم بيننا هو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه انهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء ، ثم توسل بعنه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم . والقول الثاني أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفأك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة اجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه ، وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين : الأول ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، والثاني ان التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلاً إلا بأعماله ، فإذا قال القائل اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عساه فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما زعمه المتشددون في هذا

الباب كابين عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم ، وبهذا تعلم ان ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ونحو قوله تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحدا » ونحو قوله تعالى : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه ، فإن قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبد بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله « ولا تدعوا مع الله أحدا » فإنه نهى عن ان يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عنه بعمل صالح عسله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله « والذين يدعون من دونه » الآية .

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعاء غيره معه . فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين . تم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تسلك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله » فإن هذه الآية الشريفة ليست فيها دلالة إلا أنه تعالى هو المنفرد بالأمر فى يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء ، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلاء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر يوم الدين . ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو فى ضلال مبین ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله : « ليس لك من الأمر شيء » قل « لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا » فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء ، وأنه لا يسلك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يسلك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلاء ، وقد جعل

الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : « وائدر عسيرتك الأقربين » يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا ، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه ، وأنه لا يسلك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله . وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طاب الأمر من له الأمر والنهي وإنسا أراد الطالب أن يقدم بين يديه ما يطلبه ما يكون سببا للإجابة من هو المنفرد بالعتاء والمنع وهو مالك يوم الدين . انتهى كلام الشوكاني .



## الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب لا ينكر التوسل

سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء : [ ( لا بأس بالتوسل بالصالحين ) وقول أحمد : ( يتوسل بالأنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ) مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق ] ، فقال : فالفرق ظاهر جدا . وليس الكلام مما نحن فيه . فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه . فهذه المسألة من مسائل الفقه ، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات . فأين هذا من يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك

أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده،  
لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه .

( انتهى من فتاوى الشيخ الإمام مجسد بن عبد الوهاب في مجموعة  
المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ) .

\* \* \*

## التوسل بآثاره ﷺ

ثبت أن الصحابة رضی الله عنهم كانوا يتبركون بآثاره صلى الله عليه  
وسلم وهذا التبرك ليس له إلا معنى واحد ألا وهو التوسل بآثاره إلى الله  
نعالي لأن التوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد .

أفترأهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به ؟

هل يصح أن يتوسل بالفرع ولا يصح بالأصل .

هل يصح أن يتوسل بالأثر الذي ما شرف ولا عظم وكرم إلا بسبب  
صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول قائل إنه لا يصح أن يتوسل به ؟  
سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

والنصوص الواردة في هذا الباب كثيرة جداً نقتصر على أشهرها  
فهذا أمير المؤمنين عسر بن الخطاب يحرض كل الحرص على أن يدفن بقرب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة فيبعث ولده عبد الله  
ليستأذن السيدة عائشة في ذلك وإذا بالسيدة عائشة تعلن أنها كانت تريد  
هذا المكان لنفسها فتقول كنت أريده لنفسى ولأوثرته على نفسى فيذهب  
عبد الله ويشر أباه بهذه البشارة العظيمة وإذا بعسر يقول : الحمد لله ما كان  
شيء أهم إلى من ذلك . وانظر تفصيل القصة في البخارى فما معنى هذا  
الحرص من عسر ومن عائشة ؟